



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر



تحت عنوان

التقديم والتأخير في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي – نماذج مختارة –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي تخصص دراسات لغوية

تحت إشراف الدكتور:

محمد الصالح زغدي

من إنجاز الطلبة:

كـم الزهرة عروة

كـم خديجة بن عمر

كـم وفاء مرغني

السنة الجامعية : 2019 / 2020 م

شكر و عرفان

لك الحمد مرربي يسرت لنا عقبات درربنا أمانا فلولاك لما بلغنا ما بلغنا هذا لك الحمد والشكر
والعاقبة للمتقين الحمد يليق بعظمتك وجلالتك لا اله الا أنت مرربي عليك توكلنا واليك أنبنا
اللهم اجعلنا شاكرين لك دوما ذاكرين لنعمتك لا غافلين تأهين في دروب الجهل و
الظلام أما بعد

تتقدم بجزيل الشكر الى المؤطر: محمد الصالح نرغدي

وخالص الشكر من ساهم معنا ومد يد العون لنا في انجانر هذه المذكرة

الإهداء

إلى من نفضلها على نفوسنا ، ولم لا ؟ فلقد ضحّت من أجلنا ولم تدّخر جهدا في سبيل إسعادنا على الدّوام ، إلى من لو حقّ السجود لغير الله لكانت هي أحقّ وأجدر به من غيرها إلى نبع الحنان إلى نبع السّعادة والأمان ، إلى التي حملتنا وهنا على وهن *أمهاتنا الحبيبات* نهدي كلماتنا وسطورنا .

إلى الشّمعَة التي تحترق لتتير حياتنا ، إلى الذي لم يبخل علينا طيلة حياته ، إلى الذي ضحّ في سبيل إسعادنا إلى * آباءنا الأعزّاء* نهديكم ثمرة نجاحنا ، و إلى *الإخوة والأخوات* و إلى * كافة أفراد أسرنا* حفظهم الله ورعاهم وجعل حياتهم عيدا على عيد وأمّدهم بالصّحة والعمر المديد .

إلى كل من ساعدنا في تخطّي عوائق هذا المشوار و يسّر لنا سبيل المساعدة وشاركنا نصائحه وتوجيهاته . إلى أستاذنا وموجهنا *محمد الصّالح زّغدي* نهديك بذرة عملنا التي طالما راقبتها وسقيتها حتى نمت فصارت ثمارا ، نشكرك جزيل الشكر والعرفان .

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرّحيم { ولا تنسوا الفضل بينكم إنّ الله بما تعملون بصير { البقرة : 237

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين الصادق الأمين محمد سيد البلغاء والفصحاء وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

إنّ الجملة العربيّة تسير على نسق معيّن في ترتيب مكوّناتها، ولكلّ عنصر من عناصرها التركيبيّة رتبة خاصة ، وإذا جاءت على خلاف الأصل في التّرتيب عدّ ذلك خروجاً على أصل الرتبة المحفوظة ، فيتقدّم ما الأصل فيه أن يتأخر، ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدّم وما جاء على الأصل لا يسأل عنه وإذا جاء على خلافه ، لا بدّ من سبب مسوّغ لقبوله والحكم على فائدته وحسنه في النظم، وإذا لم يحقّق التّقديم والتأخير معنى من معاني الكلام ودلالاته ، عدّ ذلك من باب الغموض والتّعقيد الذي يفقد النصّ قيمته البلاغيّة ، وسبب من أسباب عدم فصاحته، حيث يعدّ باب التّقديم والتأخير جزء كبير من أجزاء علمي النّحو والمعاني ، والحاكم للتّرتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان لازماً أو غير لازماً ، فهو في التّرتيب اللازم حكم صناعي نحوي أما في غير اللازم فهو حكم صناعي بلاغي ، ويكون ذلك لأسباب نحويّة وأغراض وأبعاد دلاليّة بلاغيّة .

إنّ التّقديم والتأخير من الموضوعات التي نالت حظاً وافراً من الحديث من قبل البلاغيين والنحويين بالعرض والتحليل ، الذين أولوها اهتماماً زائداً لشرف اللّغة التي يدرسون نظمها و تركيبها، وللوقوف على مدى شجاعتها في الخروج عن المألوف الذي جاء في تركيبهم ، ولكنّ هذا الخروج على المعهود لم يكن ضرباً من الخطب والعشوائيّة ، وإنّما كان له ما يبرّره وكانت له دواع اقتضاها التّعبير أو المقام أو السّياق الذي جاء فيه التّعبير المتحدّث عنه فالغرض الدّاعي لتقديم جزء من الكلام هو ذاته الغرض الدّاعي لتأخيره .

ولهذا رجونا أن نكون من بين من تناول هذا الموضوع من كلا جانبيه النحويّ والبلاغيّ ، مع التّطبيق عليهما على مدوّنة شعريّة وهي (التّقديم والتأخير في ديوان أغاني الحياة لشابي - نماذج مختارة -) ووقع اختيارنا لهذا العنوان لأهميته ، ليتسنى لنا معرفة أحكامه وعمله

النحويّة وأغراضه البلاغيّة . وعليه نطرح التساؤلات الآتية : ما المقصود بالتقديم والتأخير ؟ وما هي أسبابه النحويّة ؟ وما هي الأغراض البلاغيّة التي تنتج عن تقديم المسند وتأخير المسند إليه ؟ وما هي إضافاته الأسلوبية ؟ و ما هي الفصاحة ؟ و ماذا نعني بالبلاغة ؟ وفيما تكمن العلاقة بينهما ؟ وما هو علم المعاني ؟ وما مفهوم الجملة وأنواعها ؟ وممّ تتألف الجملة ؟ .

وللإجابة عن هذه التساؤلات انتقينا نماذج مختارة من ديوان " أغاني الحياة " للشّابي ، مع دراسته وفق المستويين النحوي و البلاغي ، ولعلّ من أهم الأسباب وأبرزها التي دفعت بنا إلى اختيار هذا الموضوع لأهميته في إبراز جماليات اللّغة ، ومدى تمكّنها ووفرة مفرداتها إضافة إلى ضرورة هذه الدّراسة في مثل هذه المراحل من التّعليم لما فيها من ايجابيات تمكّن الطّالب من التّعقّق والخوض في مسائل اللّغة بصفة عامّة والنحو والمعاني بصفة خاصة .

وكنا قد اعتمدنا على خطة ساهمت في تحديد مسار بحثنا ، احتوت على فصلين تفرعا إلى عدة مباحث سبقهما مقدّمة ، ثم يليها مدخل تمهيدي اشتمل على العلاقة التي تربط البلاغة بالفصاحة وتحديد مفهوم كل منهما ، إضافة إلى مفهوم علم المعاني ومباحثه ، أمّا بالنسبة إلى الفصل الأوّل : احتوى على تعريف الجملة العربيّة وتأليفها و أقسامها ، ومفهوم التّقديم والتأخير وأسبابه النحويّة وأغراضه البلاغيّة . أمّا الفصل الثاني : فقد ضمّ نبذة عن حياة أبي القاسم الشّابي ، ودراسة التّقديم والتأخير في نماذج مختارة من ديوان " أغاني الحياة " دراسة نحويّة بلاغيّة في كل من الجملة الاسمية والفعلية .

وفي الأخير خرجنا بخاتمة جملت أهم النّتائج التي توصلنا لها من خلال دراستنا لهذا الموضوع، مرفقة ومكّلة بثمار ما حصّده خلال هذه المسيرة، ولما كان لكلّ باحث منهج متّبع ارتأينا أنّ المنهج المناسب لطبيعة دراستنا هو المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتّحليل فهو ملائم ومحيط بكلّ جوانب الموضوع، وذلك أنّ المنهج الوصفي التّحليلي يتماشى مع الجانب التّطبيقي لوصف الظواهر النحويّة والأبعاد الدّلالية ، لتتمكّن من معرفة

مواضع التقديم والتأخير من خلال تحليل الجمل الاسمية منها والفعلية الواردة في ديوان " أغاني الحياة " للشّابي والكشف عن مقاصد الشاعر .

وقد استعنا بمجموعة متنوّعة من المصادر والمراجع: منها ما قدّمه السيّد أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة، وكذلك كتاب فاضل صالح السامرائي في الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها والكافي في علوم البلاغة لعيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي .

وكأنيّ باحث علمي واجهتنا العديد من الصعوبات منها الظروف الراهنة التي تعيشها البلاد في الوقت الحالي بسبب انتشار هذا الوباء العالمي (covid19) نتج عنه جملة من المشاكل والعراقيل منها : غلق المكتبات والجامعات والمراكز ممّا أدّى إلى عدم الاتصال المباشر بالأستاذ المشرف .

وما نحن إلاّ طالبات علم يخطئنا ويصننا ، فإن صننا فهو توفيقا من الله وإن أخطأنا فهذا من عجزنا وتقصيرنا فحسبنا أنا سعينا واجتهدنا : قال تعالى { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ } [النجم] ، ولا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل د. محمّد الصّالح زغدي على كلّ التّوجيهات التي قدّمها لنا ، فقد كان لنا مشرفا ومرشدا وموجّها ، يقول النّبي صلّ الله عليه وسلّم { ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه ، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه } .

وصلّ الله على النّبي الأمين محمّد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مدخل تمهيدى

أولاً : التقاء البلاغة بالفصاحة

لقد ذهب القدامى والمحدثون في مفهوم مصطلحي البلاغة والفصاحة، فالقدامى في معظمهم أداروا الحديث حول المعنى اللغوي، ثم الانتقال منه إلى المعنى الاصطلاحي، أما المحدثين فقد سائر قسم منهم في ذلك، لأنهم يرون أن احتذاء القدامى في المصطلح البلاغي لا يكون لذاته، إنما لما يحمل من قيم عربية إسلامية¹، أمّا عند المعاصرين من مثل "الأستاذ أمين الخولي" الذي دعا إلى الاقتصار على مصطلح البلاغة، للدلالة على الفصاحة والبلاغة، بل ينبغي التسوية بينهما².

ولو رجعنا إلى الذين اهتموا بالبلاغة والفصاحة لوجدناهم على رأيين :

أولهما: يقضي بفصل الفصاحة عن البلاغة، ومن هؤلاء "ابن سنان الخفاجي" الذي أورد في كتابه "سر الفصاحة" الفرق بين الفصاحة والبلاغة بأن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا، كالذي يقع فيه الإسهام في غير موضعه³.

ثانيهما: يلفت إلى عدم الفصل بين البلاغة والفصاحة، فنجد الأستاذ "بدوي طبانة" لا يقطع بالفصل بينهما بل يميل إلى وحدة المصطلحين، وذلك أنه عند التطبيق نراه يقيم الوحدة بينهما، ولذلك جعل عنوان كتابه "البيان العربي"، وفيه الحديث عن الفصاحة والبلاغة بمفهوم مؤتلف لا انفصال فيه⁴.

أما بالنسبة "لأبي هلال العسكري" الذي أدلى برأيين مختلفين : *

1- محمد بركات حمدي أبو علي، فصول البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، (1983م)، ص25.

2- المرجع نفسه، ص27.

3- ابن سنان الخفاجي (أمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، (1982م)، ص59.

4- محمد بركات، فصول في البلاغة، ص33.

1- أنّ الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما، لأن كل واحد منهما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له¹.

2- أنهما مختلفان وذلك أنّ الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، لأنّ الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنّما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى².

*ولهذا نلاحظ أنّ كثير من العلماء لم يفرقوا بين معنى البلاغة والفصاحة، وفي رأيهم أنّهما يدلّان على مقصود واحد، وهذا ما صرّح به "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" في مادة بلغ من قوله "البلاغة هي الفصاحة".

1- أبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهيل)، كتاب الصناعتين، ت علي مجمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط1، (1952م)، ص 7.

2- المرجع نفسه، ص 8.

أ- البلاغة :

- لغة: يقول "ابن فارس" في معجمه "مقاييس اللغة"، الباء واللام والعين أصل واحد، وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تُسمى المشاركة بلوغا بحق المقاربة، قال تعالى: { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ } [الطلاق]، وكذلك البلاغة التي يُمدحُ بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغُ بها ما يريد¹.

- وجاء في "أساس البلاغة" " للزمخشري"، البلاغة من بلغ أبلغه سلامي وبلغه، وبلغ الصبي وبلغ الله به، فهو مبلوغ به، وتبالغى فيه الهم والمرض إذا تناهى، وتبلغ بالقليل اكتفى به وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ².

- كما جاء في "لسان العرب" لابن منظور في مادة بَلَع: بَلَع الشيء يبلغُ بلوغًا وبلاغًا: وصل وانتهى والبلاغُ : ما يتبلغُ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ الكفاية، والبلاغة الفصاحة، والبُّلُغ والمبلغ : البليغُ من الرجال ورجل بليغٌ وبلغُ : حسن الكلام فصيحُه، يبلغُ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه³.

وبحسب التعريفات السابقة فالبلاغة هي: الوصول والبلوغ والإنهاء.*

وخلاصة القول: أنها الشيء الذي وصل إلى ذروته، وحققت مبتغاه وانتهى إليه .

- اصطلاحا

- عند القدامى :

قال خلف الأحمر (ت158هـ) البلاغة "كلمة تكشف عن البقية" . _

1- ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة ، دار الجيل، بيروت لبنان، د ط، مج1، د ت، ص 301.

2- الزمخشري (جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا بيروت، د ط، (2013م)، ص 73.

3 - ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري)، لسان العرب، الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، (2003م)، ص500، 499.

- وقال "المفضل الضبي": (ت161هـ): قلت للأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل¹.

- أما "الجاحظ" (ت255هـ) يقول أفصح الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة والبلاغة إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل².

- أما "الرماني علي بن عيسى" يعرفها "أنها إيصال المعنى³ إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ، وجعلها عشرة أقسام هي:

الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمن، المبالغة، حسن البيان⁴.

فالنسبة "لأبوهلال العسكري" (ت395هـ) يعرفها: البلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى-

قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن⁵.

وهي إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وسأل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم

لفظاً، وأحسنهم بديهة، وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته لحسن إفهام

السامع، وذكر بعض العرب: البلاغة معرفة الفصل من الوصل وحسن النظام، والبلاغة ضد

العي، والعي العجز عن البيان⁶.

* فمفهوم البلاغة عند القدامى، ينصب تحت تعريف واحد ألا وهو: الإيجاز دون الإطالة

والإطناب وهي الحسن والبديهة دون التكلف والتصنع .

1- الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د ط، مج1، (2008م)، ص99.

2- علي شلق، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، (2006م)، ص279.

3- الرماني(أبي الحسن علي بن عيسى) وآخرون، ثلاث رسائل في إيجاز القرآن الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط3، (1976م)، ص75.

4- المرجع نفسه، ص76.

5- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص19.

6- ابن رشيق القيرواني(أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج1، (2001م)، ص245، 250.

- أما عند المحدثين :

- يذهب "أحمد السيد الهاشمي" (ت1942م): أن البلاغة هي وصف للكلام والتمكّم فقط دون الكلمة لعدم السماع¹.

- أما "علي الجارم" و "مصطفى أمين" يعرفانها : هي تأدية المعنى الجليل، واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس اثر خلاب مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون².

- فمن الكتب الحديثة أيضا التي تتكلم على البلاغة بأنها : "دراسة خصائص ومميزات الخطابات (تسمى أيضا تحليل الخطاب أو الحديث) ، و تتضمن البلاغة بالخصوص دراسة ثلاث مكونات أساسية من الخطابات (المواضع والجذر والحجج أو الأدلة) أو (التوفيق والترتيب للأجزاء أو الأقسام) ، وأيضا بالخصوص (اختيار وترتيب أو تنظيم الألفاظ والكلمات) ، ويضاف إليه أحيانا (أو وضعية وشكل العرض أو الايضاح) و) أو التركيز والحفظ) .

الموضوع الرئيسي للبلاغة يتحدد بالخصوص خلال دراسة التعابير البيانية أو المجازات أو الاستعارات³.

*إذا فالبلاغة عندهم هي ترتيب وتنظيم الألفاظ ووضوح تأدية معانيها بطريقة صحيحة فصيحة، إضافة إلى أنهم أشاروا إلى أنها تتحدث في دراسة تعابير البيانية والمجازات والاستعارات.

1- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، د ط، (1999م)، ص29.

2- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة_البيان والمعاني والبديع_، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة(2007م)، ص18.

3- بوطران محمد الهادي وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية انطلاقا من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت، الجزائر، د ط، (2010م)، ص326.

**لقد جُمع في تعريفات البلاغة بين القدامى والمحدثين على أنها: الكشف عن الملبسات والمبهمات والابتعاد عن التعقيد، وتأدية المعنى بوضوح عن طريق استخدام عبارات فصيحة و بعبارة أخرى: هي الإبلاغ أي (إيصال المعنى بأحسن وأكمل وجه).

ب- الفصاحة

- في اللغة:

لفظ الفصاحة ممّا شاع وعرفه العرب بمفهومه اللّغوي قبل أن تأخذ الألفاظ دلالتها الفنية ونجد لها في المعاجم دالتين :

الأولى : لغوية تقوم على المعنى الأوّل الذي وضعه العرب واستعملوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والنقد¹، ففي " لسان العرب" "لابن منظور" : " يومٌ مفصح : لاغيم فيه ولا قر، أفصح اللّبن : ذهب اللّبأ عنه . فُصِح اللّبن : إذ أخذتُ عنه الرّغوة².

الثّانية : دلالة تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي تعارف عنه البلاغيون³ ففي " لسان العرب" : الفصاحة البيان ، فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء ، وامرأة فصيحة بالضم فصاحة : تكلم بالعربية وفُهِم عنه، يقال: أفصح الصبيُّ في منطِقِه إفصاحًا إذا فهِمَت ما يقول في أوّل ما يتكلم⁴.

- في الاصطلاح : الفصاحة عند أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الكتب والشعراء لمكان حسنها وهي تقع وصفًا للكلمة والكلام والمتكلم ، حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها أو مسبوكة مع أخواتها⁵.
فالفصاحة هي الإبانة والإيضاح والكشف عن اللبس والابتعاد عن التعقيد. *

1- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية_ الفصاحة البلاغة المعاني_، الناشر وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط1، (1980م)، ص11.

2- ابن منظور، لسان العرب، ص644.

3- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية_ الفصاحة البلاغة المعاني_، ص11.

4- ابن منظور، لسان العرب، ص644.

5- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص19.

1- فصاحة الكلمة: سلامتها من أربعة عيوب :

* تنافر الحروف * غرابة الاستعمال * مخالفة القياس * الكراهة في السمع .

أ- تنافر الحروف : هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:

- شديد الثقل ، كالظَّشِّ (الموقع الخشن) ونحو : هُعُخُع (لنبت ترعاه الإبل) من قول أعرابي : " تركت ناقتي ترعى الهُعُخُع".

- وخفيف كالنقنقة " لصوت الضفادع " ، والنُّقَاخ (للماء العذب الصافي) ونحو: مستشزرات " بمعنى مرتفعات " من قول امرئ القيس يصف شَعْر ابنة عمه :

تَضَلُّ العُقَاصَ في مَثْنَى ومُرْسَلٍ غدائره مُسْتَشزِرَاتٌ إلى العُلا ****

- ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة يسوي الذوق السليم والحس الصادق¹، النَّاجِمِينَ عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم .

ب- غرابة الاستعمال: وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء ، لأنَّ المعوَّل عليه في ذلك استعمالهم .

والغرابة قسمان :

- القسم الأول : ما يُوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لتردُّها بين

معنيين أو أكثر بلا قرينة : وذلك في الألفاظ المشتركة " كمسْرَج" من قول رؤية بن العجاج

ومُفْلَةٌ وحاجِباً مرجحاً **** وفاحِماً ومَرْسِنًا مُسْرَجًا²

فلا يُعلم ما أراد بقوله : " مُسْرَجًا " حتى اختلف أئمة اللُّغة في تخريجه ، فقال " ابن دريد" :

"يريد أنه في البريق واللِّمعان كالسِّراج " فلهذا يحтар السامع في فهم المعنى المقصود ، لتردد

الكلمة بين معنيين بدون قرينة تُعيِّن المقصود منها، فلأجل هذا التردُّد ، ولأجل أنَّ مادة "

1- المرجع السابق ، ص12.

2- المرجع نفسه ، ص13.

فَعَلٌ " تدلُّ على مجرد نسبة شيء لشيء لا على النسبة التشبيهية كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة ، فصارت غريبة .

وأما القرينة فلا غرابة كلفظة "عزز" في قوله تعالى : " فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه " فإنها مشتركة بين التعظيم و الإهانة ، ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم¹.

- القسم الثاني : ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبع اللغات ، وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم (قواميس متن اللغة الطويلة) .

- فممنه من يعثر فيها على تفسير بعد كِدِّ وبحث نحو: " تكأكأتم " بمعنى "اجتمعتم" من قول عيسى بن عمرو النحو: " مالكم تكأكأتم عليا كتكأكأكم على ذي جنة افرنقوا عني " ونحو: " مُشْمَخِرٌ " في قول بشير بن عوانة يَصِفُ الأسد² :

فخرٌ مدرجاً بدمٍ كأنِّي **** هدمتُ به بناءً مشمخراً

- ومنه ما لم يعثر على تفسيره ، نحو: (جَحْلُنَجَع) من قول أبي الهيمسَع :

مَنْ طمحة صبيرها جَحْلُنَجَع **** لم يحضها الجدول بالتنوع

ج- مخالفة القياس : كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستتبط من كلام

العرب ، بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع مثل: (الأجلل) في قوله أبي النجم

الحمد لله العليُّ الأجلل **** الواحد الفرد القديم الأول

فإنَّ القياس " الأجلل " بالإدغام ، ولا مُسَوِّغَ لِفَكِّهِ .

وكحذف النون من " لكن " في قول النجاشي :

فلستُ بآتيه ولا أستطيعه **** ولاك اسقني إن كان مأوك ذا فضل

أراد ولكن اسقني³.

- يستثنى من ذلك : ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس

1- المرجع السابق ، ص14.

2- المرجع نفسه، ص14.

3- البسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،

ط4، (2015م)، ص28.

- ولم يخرج عن الفصاحة لفظتا " المشرق والمغرب " بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما وكذا لفظتا " المدهن والمنخل " والقياس فيهما (مفعَل بكسر الميم وفتح العين) ، وكذا نحو قولهم : " عور " والقياس عارَ ، لتحرك الواو و انفتاح ما قبلها¹.

د- الكراهة في السمع : كون الكلمة وحشية تأنفها الطباعُ ، وتمجُّها الأسماعُ وتنبو عنها كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجِرشِيِّ للنفس) في قول أبي الطيب المتنبّي يمدح سيف الدولة :

مباركُ الاسمِ أغرُّ اللّقبِ **** كريمُ الجِرشِيِّ شريفُ النّسبِ²

تتحقق فصاحة الكلمة بخلوّها وتبرئها من أربعة عيوب : *

تنافر الحروف : هو عدم تلاؤم الحروف مع بعضها عند النطق بها . -

غرابة الاستعمال : استخدام كلمات خفية المعنى ، وليست مستعملة عند العرب-

الفصحاء.

أن الكلمة غير متماشية مع القواعد الصرفية المأخوذة من كلام مخالفة القياس :-
العرب.

الكراهة في السمع : أن تكون الكلمة مضجرة غير مستحسنة في سمعها ، أي -

تمجها الأذواق ، وتستكرهها الأسماع .

2- فصاحة الكلام :

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مفرداته ، ممّا يُبهِمُ معناه ويحول دون المراد منه وتتحقّق فصاحته بخلوّه من ستّة عيوب :

- تنافر الكلمات مجتمعة ، - ضعف التأليف ، - التعقيد اللفظي ، - التعقيد المعنوي -
كثرة التكرار ، - تتابع الإضافات .

1- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص15.

2- المرجع نفسه، ص16.

أ- تتافر الكلمات مجتمعة : أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبها مع بعضها على السمع عسرة النطق بها مجتمعة على اللسان ، (وإن كان كل جزء منه على إنفراده فصيحاً) ، والتتافر نوعان:

- شديد النقل كالشطر الثاني في قوله :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانِ قَفْرٍ **** وليس قُزْبٌ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرٌ

وخفيف النقل نحو : قول أبي تمام : -

كريم متى أمدّحه أمدّحه والورى **** معي وإذا ما لمتّه لمتّه وحدي¹

ب- ضعف التأليف : أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتمدة عند جمهور العلماء ، كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف منهما على الأعراف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا ، كقول المتنبي :

خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا **** فأعاضهاك الله كي لا تحزناً

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً و رتبة ، وحكماً في غير أبوابه نحو :

ولو أن مجداً أخذ الدهر واحداً **** من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً

ج- التعقيد اللفظي : هو كون الكلام خفيّ الدلالة على المعنى المراد به ، بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني .

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم ، أو تأخير ، أو فصل بأجنبي ، بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) وهو مذموم لأنه يوجب² اختلال المعنى واضطرابه ، كقول المتنبي :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم **** شيم على الحسب الأغر دلائل

أصله جفختُ (افتخرت) بهم شيم دلائل على الحسب الأغر وهم لا يجفخون بها .

1- المرجع السابق، 32.

2- المرجع نفسه ص 32.

د- التعقيد المعنوي : وهو كون التركيب خفيّ الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود ، بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة ، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود ، " بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفاً " كما في قول " عباس بن الأحنف " :

سأطلبُ بعدُ الدارَ عنكم لتقربوا **** وتسكُبُ عيناى الدموع لتجمُدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الحزن والكد ، فأحسن وأصاب في ذلك ولكنه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عما يوجب التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحبته وهو خفيّ وبعيدٌ إذ لم يعرف في كلام العرب عند¹ الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له جمدت عينك ، أولاً زالت عينك جامدة ، بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يكتى به عن عدم البكاء حالة الحزن ، كما في قول الخنساء :

أعيني جودا ولا تجمُدا **** ألا تبكيان لصخر الندى

وقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة :

ألا إنَّ عينا لم تجد يومَ واسِطٍ **** عليك بجاري دمعها لجمود²

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويغيرها المتكلم ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب في استعمالاتهم ، ويعدّ ذلك تعقيداً في المعنى حيث لا يكون المراد بها واضحاً .

ه- كثرة التكرار :

كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً وسواء أكان الاسم ظاهراً أو ضميراً ، تعدد مرّة بعد أخرى بغير فائدة ، كقوله :

إنّي وأسطارٍ سطرانُ سطرًا **** لقائلٌ يا نصرُ نصرُ نصرًا

وكقول المتنبي :

1- المرجع السابق ، ص34.

2- المرجع نفسه، ص35.

أَقْلَ أَيْلَ أَقْطَعُ أَحْمَلُ عَلَّ سَلَّ أَعِدُّ **** زِدْ هَشَّ بَشْ تَفْضَلْ أَدِنَ سِرَّ صِلْ¹

وكقول أبي تمام في المديح :

كأنه في اجتماع الرُّوح فيه له **** في كلِّ جارحة من جسمه روح

و- تتابع الإضافات :

كون الاسم مضافا إضافة متداخلة غالبا ، كقول ابن بابك :

حمامة جرجا حومة الجندل اسجعي **** فأنتِ بِمِراى من سعادُ ومسمع²

للكلام شروط لتحقيق فصاحته تتمثل في:*

- تنافر الكلمات مجتمعة : وهي الثقل الناتج عن النطق الصَّعب للكلمات.

التأليف : أن يكون الكلام خارج عن وجوه القوانين المعتادة في النحو عند ضعف-
جمهور العلماء.

- التعقيد اللفظي : ويقصد به غموض الدلالة الناتجة عن الكلام ، وخروج ترتيب الألفاظ عن ترتيب المعاني فبالتالي يصعب مع ذلك إيصال المعنى المقصود به.

. التعقيد المعنوي : غياب القرائن الدالة عن المعنى المقصود-

- كثرة التكرار : هو التكرار بغير تحقيق الفائدة.

تتابع الإضافات : ونعني بها ذكر الإضافات أكثر من مرّة في الجملة الواحدة.-

3- فصاحة المتكلم:

فصاحة المتكلم هي ملكة يقدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ، فالكلمة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه .

1- المرجع السابق، ص35.

2- المرجع نفسه، ص36.

وقيل ملكة ولم يقل صفة ليشعر بأنّ الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فيصبح فصيحاً راسخة فيه ، وقيل يقتدر بها ولم يقل يعبر بها ليشمل حالتها النطق وعدمه. وقيل بلفظ فصيح ليعمّ المفرد والمركّب¹ .

* ففصاحة المتكلم هي الملكة الراسخة في صاحبها ومن خلالها تمكنه من التعبير عن أغراضه المختلفة ، بطريقة صحيحة واضحة بعيدة عن التعقيد والإطالة .

ثانياً: علم المعاني

أ- تعريفه:

هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأدبيين للوصول إلى هذه الغاية ، وفيه تحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد فنعرف السبب الذي يدعو إلى الإيجاز والإطناب والفصل² .

* إذن فعلم المعاني يهتم بعدم التوعر في الكلام ، وأداء المعنى وإيصاله، في قالب مصوّب بعيداً عن الخطأ والزلل .

ب- مباحث علم المعاني:

كثير نذكر منها :

المسند \ المسند إليه - و متعلقات الفعل- والقصر .-

1/ الإسناد :

يبحث علم المعاني في كل تركيب من لفظتين ، يسمى الأول "مسنداً" والثاني "مسند إليه" وأما صلة النسبة التي بينهما تسمى "إسناداً" ، فمثلاً في قولنا "محمد مجتهد" فإن المسند إليه "محمد" و"مجتهد" مسند وعملية الحكم بالاجتهاد: الإسناد³ .

1- القزويني(جلال الدين محمد بن عبد الرحمان) ، الايضاح في علوم البلاغة ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط الأخيرة، بيروت لبنان، (2000م)، ص32.

2- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية_علم المعاني علم البيان علم البديع_ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، ط1، (2007م)، ص89.

3- المرجع نفسه، ص89.

- مفهوم المسند : ويسمى المحكوم به أو المخبر به ، والمسند قد يكون له متعلقات ، إذا كان فعلاً أو ما في معناه ، من نحو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف .

- مفهوم المسند إليه : ويسمى المحكوم عليه أو المخبر عنه¹، وإن حق المسند إليه أن يكون معلوماً وإلا ما كان الحكم مفيداً² .

إذاً فالمسند هو الذي حكمنا وأخبرنا به عن المسند إليه . *

والمسند إليه هو الذي وقع عليه الحكم والإخبار شريطة أن يكون معلوماً محققاً للإفادة . *

2/ أحوال متعلقات الفعل :

الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم ، وقد يبنى للمجهول ويحذف الفاعل لأغراض شتى :

- للعلم به : نحو قوله تعالى { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۝ ٢٨ } [النساء]

للجهل به : نحو "سُرِقَ المتاعُ" إذا لم يعرف السارق . -

للخوف عليه : نحو "شَتِمَ الأميرُ" إذا خيف على الشاتم . -

للخوف منه : نحو "قُتِلَ قَتِيلٌ" إذا خيف من القاتل .³ -

للمحافظة على سجع : نحو "من طابثُ سريرته ، حمدتُ سيرته" .-

- لتعظيم الفاعل إذا كان الفعل خسيساً ، أو صونه عن اللسان :

نحو "تكلم بما لا يليق" والأصل في المفعول أن يُؤخَّرَ عن الفعل ، ولا يُقدَّمُ عليه إلا لأغراض كثيرة :

- منها التخصيص : نحو { إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝ ٥ } [الفاحة] ، ردًا على من قال : أعتقد غير ذلك .

- منها رعاية الفاصلة نحو : { ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ۝ ٣١ } [سورة الحاقة] .

منها التبرُّكُ نحو : "كتابًا مقدَّسًا تلوُّتُ .-

1- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دارالآفاق العربية، القاهرة، د ط، (2004م)، ص103.

2- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص90.

3- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص150.

منها التذُّدُّ نحو: "الحبيب قابلتُ .-

-والأصل في العامل أن يقدّم على المعمول ، كما أنّ الأصل في المعمول أن تُقدّم¹ عُمدته على فضلته ، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل .

- أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه (كالظرف، والجار والمجرور)، فيختلف الترتيب للأسباب الآتية :

- إمّا لأمر معنوي نحو: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ٢٠} [ياسين] (فلو أُخِر المجرور لثُوهم أنه من صلة الفاعل وهو خلاف الواقع ، لأنه صلة لفعله) .

- إمّا لأمر لفظي نحو: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ٢٣} [النجم] ، فلو قُدّم الفاعل لاختلقت الفواصل ، لأنها مبنية على الألف .

- إمّا للأهمية نحو: " قتل الخارجي فلان² .

- وأما تقديم الفضلات على بعض فقد تكون :

- للأصالة في التقدّم لفظاً نحو: "حسبت الهلال طالعا" ، فإنّ الهلال وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل ، أو للأصالة في التقدّم معنى ، وذلك كالمفعول الأول في نحو: " أعطى الأمير الوزير جائزة " ، فإنّ الوزير وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة .

- أو للإخلال في تأخيره نحو: " مررت راكبا بفلان" ، فلو أُخِرَت الحال لثُوهم أنها حال من المجرور وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل .

والأصل في المفعول ذكره ، ولا يحذف إلا لأغراض تقدّم نكرها³.

3/ القصر:

1- المرجع السابق ، ص150.

2- المرجع نفسه، ص151.

3- المرجع نفسه ، ص151.

- لغة: القصرُ: الغاية وهو من معنى القصر الحبس ، لأنك إذا بلغت الغاية حبستك¹، قال تعالى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢ ﴾ [الرحمن] ، أي محبوسات في خيام من الدُرِّ² والاقْتِصَارُ على الشيء ، الاكتفاء به ، وأقصر فلان عن الشيء إذا كفَّ عنه وانتهى³ .
- اصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، فعندما نقول : زهير شاعر لا كاتب فإننا نخص زهيراً بصفة الشعر بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الكتابة فزهير مقصور والشعر مقصور عليه ، وقد قيّد البلاغيون التخصيص بالطريق المخصوص ، ليخرج كل من أفاد القصر بغير تلك الطرق المخصوصة فقولنا: زيد مقصور على العلم ، وجاء محمد وحده... وعلي يختص بالشعر وخالد ينفرد بالشجاعة⁴.
- * إذاً فهو التخصيص عكس التعميم، أي حصر شيء ما على شيء آخر.

1- ابن منظور، لسان العرب، ص114.

2- المرجع نفسه، ص117.

3- المرجع نفسه، ص115.

4- البسيوني عبد الفتاح فيود ، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، ص283،284.

الفصل النظري

المبحث الأول: مفهوم الجملة العربية

- إنَّ أول من استخدم مصطلح الجملة من علماء العربية هو " أبو عباس المبرّد " (ت285هـ) في عدّة مواضيع من كتابه " المقتضب " منها: " إنّما كان الفاعل¹ رفعا لأنه هو الفعل جملة يحسن السكوت عليها وتجب بها الفائدة للمخاطب " ، إلّا أنّه سواها بمصطلح الكلام ، وهذا ما ذهب إليه قسم من النحاة ، إلى أنّ الكلام² والجملة هما مصطلحان لشيء واحد ، فالكلام هو الجملة والجملة هي الكلام ، وهذا ما ذكره " ابن جني " في " الخصائص " " أمّا الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيدا لمعناه وهو الذي يسميه التحويون الجمل نحو: زيدٌ أخوك وقام محمد " .

- بينما ذهب القسم الآخر من جمهور النحاة ، أنّ الكلام والجملة مختلفان فإنّ شرط الكلام الإفادة ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة وإنّما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد فهي أعم من الكلام ، إذ كل كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة ، جاء في التعريفات في تعريف الجملة أنها " عبارة عن مركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك " زيد قائم " أو لم يفد كقولك " أن يكرمني " فإنّه جملة لا تفيد إلّا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقا " ³ .

* ممّا نلاحظه أن الآراء اختلفت حول مصطلحين " الجملة " و " الكلام " ، فهناك من يرى أنّهما وجهان لعملة واحدة ، وهناك من يقر بأنهما منفصلان لأن الجملة لا تشترط فيها دائما الإفادة ، وإنّما تقوم على شرط الإسناد سواء أن أفاد أم لم يفد عكس الكلام الذي تعد فيه الإفادة شرطا، وبهذا فإن الجملة أشمل من الكلام .

1- المبرّد(أبي العباس محمد بن يزيد) ، كتاب المقتضب، المنشورات الإسلامية، القاهرة، ط3، ج1، (1994م) ، ص 146.

2- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر، عمّان الأردن، ط2، (2007م) ، ص 11.

3- المرجع نفسه، ص 12.

جاء في "العين" للخليل (ت175هـ) : " الجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب وغيره وأجملت له الحساب والكلام من الجملة " ¹.

- وفي المصباح المنير: " أجملت الشيء إجمالاً جمعته من غير تفصيل وأجملت في الطلب " ².

- وفي المعجم الوسيط : " (جمل) الشيء جملاً : جمعه عن تفرق ، والحساب : جمع أعداده وردّه إلى الجملة ، والكلام: وفيه ساقه موجزاً " ³ .

* ومن هذه التعريفات نفهم أنّ الجملة في معناها اللغوي تدلّ على : الإلمام والجمع والضمّ .

ب- اصطلاحاً :

1- الجملة عند النحاة القدامى:

- "سيبويه" (ت180هـ): الذي استخدم مصطلح الكلام بديلاً عن مصطلح الجملة فيقول " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسأتيك غدا ، وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا ، وسأتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب فقولك : حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر ونحو، وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ

1- الخليل (أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي)، معجم العين، مؤسسة الهجرة، ط2، ج6، (1210هـ)، ص 143.

2- أحمد بن محمد علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة ، ط2، د ت، ص 143.

3- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2، (2004م)، ص 110.

في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيداً يأتيك وأشباه هذا، وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس¹.

- "الزمخشري" (ت538) فيقول: "الكلام بأنه مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى" وقال: "وذلك لا يأتي إلا في اسمين كقولك: زيداً أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيداً وانطلق بكر ويسمى جملة"².

- وعرفت الجملة في "معجم لغة النحو العربي": "هي وحدة اسنادية تتضمن مسندا ومسند إليه يكونان عمدة هذه الجملة، يحققان المعنى المفيد، وتسمى الجملة الكلام المركب"³ والجملة باختصار كلام تام المعنى⁴.

* ومما نلاحظه أنّ بعض من القدامى قد جعلوا من مصطلح الجملة مساويا لمصطلح الكلام والبعض منهم نفى ذلك، وأنّ الجملة عندهم "القدامى" تتكون من وحدة اسنادية "مسند ومسند إليه".

2- الجملة عند النحاة المحدثين:

- يقول "مهدي مخزومي": "الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، وليس لازما أن تحوي العناصر المطلوبة كلها، قد تخلو الجملة من المسند إليه لفظا، أو من المسند، لوضوحه وسهولة تقديره، كخلوها من المسند إليه في نحو

1- سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، ج 1، (1988م)، ص 25، 26.

2- محمد ابراهيم عبادة، الجملة العربية - مكوناتها أنواعها تحليلها -، مكتبة الآداب القاهرة، ط 2، د ت، ص 19، 20.

3- السفير أنطوان الدحاح، معجم لغة النحو العربي، مكتبة لبنان، ط 1، (1993م)، ص 116.

4- محمد أحمد قاسم محي الدين، علوم البلاغة - البديع، البيان، المعاني -، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط 1، (2003م)، ص 261.

قول المستهلّ: "الهلال والله" ، والمسند إليه في نحو قولك "خرجت فإذا السبع" أو نحو قولك: "زيد" في جواب من قال لك: من كان معك أمس¹.

- وقد عرّفها "إبراهيم أنيس" في كتابه "من أسرار اللغة": "إنّ الجملة في لأقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع مع معنى مستقلا بنفسه ، سواء تركب هذا القدر من الكلمة واحدة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلا: "من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟ فأجاب "زيد" ، فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة².

* فمن خلال التعريف الاصطلاحي للجملة عند المحدثين نستنتج أنّ الجملة أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع وأنّ الكلام أعمّ وأوسع منها، فالجملة قد تخلو من أحدهم "المسند إليه لفظا والمسند" ، كما وضعه "مهدي المخزومي" في ضربه للأمثلة أعلاه .

* فتقطير القول: أنّ القدامى والمحدثين قد اختلفوا في الجمع والتفريق بين مصطلحي الجملة والكلام ، فمن المحدثين من تتبّع خطى القدامى ومنهم دون ذلك من الذين واكبوا عصرهم .

1- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2، (1986م)، ص33.

2- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، ط3، (1966م)، ص261، 260.

المبحث الثاني: تأليف الجملة وأقسامها

أ- تأليف الجملة:

تتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه ، وهما عمدتا الكلام ولا يمكن أن تتألف الجملة من غير المسند والمسند إليه كما يرى النحاة وهما المبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر ، والفعل والفاعل ونائبه ويلحق بالفعل اسم الفعل .

- فالمسند إليه هو المُتحدِّث عنه أو المحدث عنه بتعبير "سيبويه" ولا يكون إلا اسما وهو المبتدأ الذي له خبر وما أصله ذلك والفاعل ونائب الفاعل : والمسند هو المتحدث به أو المتحدث به ، ويكون فعلا واسما، فالفعل هو مسند على وجه الدوام ولا يكون إلا كذلك والمسند من الأسماء هو خبر المبتدأ وما أصله ذلك ، والمبتدأ الذي له مرفوع أغنى عن الخبر نحو: " أقام الرجلان " و " قائم " مسند و "الرجلان" مسند إليه وأسماء الأفعال .

- وقد ذكر النحاة المسند والمسند إليه منذ وقت مبكر فقد ذكرها "سيبويه" وعقد لها بابا فقال " هذا باب المسند والمسند إليه " " وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجب المتكلم منه بدًا " ، وقد بين بقوله " ولا يجد المتكلم منه بدًا " أن الكلام لا بد أن يتألف منهما وقد تكرر ذكرهما في الكتاب مرّات عديدة ، وإن كان أحيانا يعكس التسمية فيسمى المبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه .

- وما عدا المسند والمسند إليه هو " الفضلة " كالمفاعيل والحال والتمييز والتّوابع ، وعندهم أنّ المضاف إليه بين الفضلة والعمدة فإنّه قد يلتحق بالعمدة وذلك إذا أضيف إلى العمدة في نحو: " أقبل عبد الله " ، ويلتحق بالفضلة إذا أضيف إلى الفضلة نحو: " أكرمت عبد الله " ويقع فضلة في نحو: " هذا ضاربٌ محمّد " فهو مفعول به في الأصل . وليس معنى الفضلة أنّه يمكن الاستغناء عنها فإنّها قد تكون واجبة الذكر فإنّ المعنى قد يتوقف عليها كما في قوله تعالى: { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا } [النساء] ¹ .

1- فاصل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 14، 13.

الفصل النظري

فإنّه لا يمكن الاستغناء عن " كسالى"، بل قد تكون الفضلة واجبة الذّكر والعمدة واجبة الحذف كما في الإغراء والتّحذير في نحو: " إياكم والكذب" و " صبرا آل ياسر" وقوله تعالى: { فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ } [الملك] ، فالمذكور هنا هو الفضلة والعمدة محذوفة وجوبا فكل من الفضلة والعمدة قابل للحذف كما هو معلوم .

- وقد أوضح النّحاة بصورة كافية رأيهم في تأليف الجملة ، جاء في " الهمع" " الحاصل أنّ الكلام لا يتأتّى إلّا من اسمين أو من اسم وفعل فلا يتأتّى من فعلين ولا من حرفين ولا اسم وحرف ولا فعل وحرف ولا كلمة واحدة لأنّ الإفادة إنّما تحصل بالإسناد وهو لا بدّ له من طرفين: مسند ومسند إليه والاسم بحسب الوضع يصلح أن يكون مسندا ومسند إليه ، والفعل لكونه مسندا لا مسند إليه والحرف لا يصلح لأحدهما... وزعم " أبو علي الفارسي" أنّ الاسم مع الحرف يكون كلاما في النداء نحو: " يا زيد" وأجيب بأنّ " يا " سدّت مسد الفعل وهو أَدْعُو وأنادي ، وزعم بعضهم أنّ الفعل مع الحرف يكون كلاما في نحو: " ما قام" بناء على أنّ الضّمير المستتر لا يُعَدُّ كلمة¹.

* إنّ الأساس في تركيب الجملة هما " المسند والمسند إليه"، فهما عمدة الكلام ولا تتألّف الجملة من دونهما وما زاد عنهما فهو فضلة عدا المضاف إليه، فإنّه يمكن أن يتّبع طرفي الإسناد أو الفضلة بحسب موقعه في الإضافة ، كما أنّ الفضلة قد يلزم ذكرها بخلاف العمدة التي قد تحذف في بعض الأساليب البلاغية كالإغراء والتّحذير.

إضافة إلى أنّ النّحاة قد أشاروا بأنّ الجملة تتألّف من اسم وفعل فلا تتكوّن من فعلين ولا من حرفين ولا اسم وحرف ولا فعل وحرف ولا كلمة واحدة ، ففي اعتقادهم أنّ الإفادة لا تتحقق إلّا بالإسناد ، وهناك من يرى أنّها يتحقق فيها الكلام كما زعم أبو علي الفارسي .

ب- أقسامها:

تتقسم الجملة إلى اسمية ، وفعلية ، وظرفية :

1- المرجع السابق، ص 14.

- فالاسمية : التي صدرها اسم، كزيد قائم ، وهيئات العقيق .

- والفعليّة : التي صدرها فعل، كقام زيدٌ، وضُرب اللّص، وكان زيد قائماً، ويقوم وقم .

- والظرفية : المصدّرة بظرف أو مجرور، نحو: عندك زيد، أو في الدار زيد، إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف أو المجرور، لا بالاستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما.

- وزاد "الزمخشري" وغيره في الجمل : " الشرطية "، والصواب أنّها من قبيل الفعليّة لأنّ المراد بالصّدر المسند ، أو المسند إليه ، ولا عبّرة بما تقدّم عليهما من الحروف ، فالجملة من نحو: " أقام الزيدان"، و"أزيد أخوك"، اسميّة . ومن نحو: " أقام زيد"، و" هلاً قمت" فعليّة .

والمعتبر أيضا ما هو صدر في الأصل ، فالجملة من نحو: كيف جاء زيد ؟ ونحو قوله تعالى: { فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة ٨٧] ، ونحو: {فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} [غافر ٨١] فعليّة ، لأنّ هذه الأسماء في رتبة التأخير.

وكذا الجملة من نحو: " يا عبد الله "، وقوله تعالى: { وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ۖ } [التوبة] ، لأنّ صدرها في الأصل أفعال والتقدير: أدعو زيدا، وإن استجارك أحد. وقد تكون الجملة ذات وجهين، وهي اسميّة الصدر، فعليّة العجز نحو: زيدٌ يقوم أبوه .

قال ابن هشام : وينبغي أن يزداد عكس ذلك نحو: ظننت زيدا أبوه قائم .

* وتنقسم أيضا إلى كبرى وصغرى :

- فالكبرى : هي الاسمية التي خبرها جملة نحو: زيد قام أبوه ، وزيد أبوه قائم .¹

- والصغرى : هي المبنية على المبتدأ كالجملّة المخبر بها في المثالين، وقد تكون الجملة كبرى وصغرى باعتبارين نحو: " زيدٌ أبوه منطلق " فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير

1- السيوطي(جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج1، 1(1998م)، ص 51، 50.

و" غلامه منطلق " صغرى لا غير، و" أبوه غلامه منطلق " كبرى باعتبار غلامه منطلق صغرى باعتبار جملة الكلام¹ .

* من المتعارف عليه : أن الجملة تنقسم إلى اسمية وهي ما ابتدأت باسم ، وفعلية ما استهلّت بفعل ، وظرفية ما صُدّرت بظرف أو مجرور، كما قسّمت الجملة إلى كبرى وصغرى ، فالكبرى : تكون اسمية وخبرها جملة، أمّا الصغرى فهي المبنية على المبتدأ ، وقد تكون الجملة كبرى وصغرى باعتبارين كما ذكر آنفا .

المبحث الثالث: تعريف التقديم والتأخير

1- لغة :

أ- التقديم:

- جاء في " أساس البلاغة " للزمخشري " (ت538هـ) : " قَدِمَ : تَقَدَّمُ وتَقَدَّمَ عليه واستَقَدَّمَ ومنه قوله تعالى: { لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٣٤ } [الأعراف] ، وأَقَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ومنه مُقَدِّمَةُ الجيش ومَقَدِّمَتُهُ : للجماعة المتقدِّمة ، والإِقْدَامُ في الحرب " ¹ .

- كما جاء في المصباح المنير: " تَقَدَّمْتُ القَوْمَ سَبَقْتُهُمْ ، وَقَدَّمْتُ الشَّيْءَ خِلافَ أُخْرَتُهُ " ² .

- أمَّا في المعجم الوسيط : " أَقْدَمَ فلانٌ : تَقَدَّمَ ، و " قَدَّمَهُ " جَلَّهُ قُدَّامًا والشَّيْءَ إلى غيره قَرَّبَهُ منه ، وتَقَدَّمَ فلانٌ صار قُدَّامًا وإليه تَقَرَّبَ منه " ³ .

* فهو بمعنى السَّبِقِ والتَّصَدَّرِ أوَّلَ الشَّيْءِ ، والتَّقَدَّمَ عكس التَّأخَّرَ .

ب- التأخير:

- عرّفه " الزمخشري " (ت538هـ) بقوله : " أَخَّرَ : جاءوا عن آخره والنهار عن آخر فأخَّر والنَّاسَ يَرْدُلُونَ عن آخر فأخَّر ، والستر مثل : آخِرَةُ الرَّحْلِ ومضى قُدَّامًا وتَأخَّرَ أُخْرًا ، ونظر إلى بِمُؤَخَّرِ عَيْنِيهِ ، وجئْتُ أخيراً وبِآخِرَةٍ " ⁴ .

- وقد ذُكِرَ في " المصباح المنير " : " أَخْرَتَهُ ضِدَّ قَدَّمَتُهُ " ⁵ .

1- الزمخشري، أساس البلاغة ، ج2، ص58.

2- الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص493.

3- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ص720، 719.

4- الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج1، ص22.

5- الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ص7.

- وعرف في " المعجم الوسيط" : " أحرَّ: تأخَّر، والشَّيء جعله بعد موضعه ، والميعاد : أجله (تأخَّر) عنه : جاء بعده وتقهقر عنه ولم يصل إليه¹ .

* فنجد من تعريف المعجميين لكلمة "أحرَّ" بأنها تدلّ على تأجيل الشيء وتأخير موقعه ورتبته

2- اصطلاحاً :

لابدّ لكل كلام من ركنين هما المسند والمسند إليه ، وجلّى أنّ رتبة المسند إليه التقديم لأنّه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير لأنّه المحكوم به ، أمّا ما عداهما متعلّقات وتوابع تتلّوها في الرتبة ، غير أنّه قد يعرض من الإعتبار ما يقضى بتقديم ما حقّه التأخير فيخرج الكلام إذ ذاك عن ترتيبه الطبيعي ليؤدّي الغرض الذي منه أريد².

- يعتبر " سيبويه" (180هـ) من الذين أشار إلى ظاهرة التقديم والتأخير في كتابه "الكتاب" وذلك في " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول" ، فيقول : " فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل ، وذلك في قولك: ضرب زيدا عبد الله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدّما، ولم ترد أن نشغل الفعل بأوّل منه وإن كان مؤخراً في اللفظ ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّما، وهو عربي جيّد كثير، كأنهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كان جميعا يهّمّانهم ويعنيانهم³.

* يشير سيبويه في تعريفه أنّ التقديم والتأخير لا يخلّ بالمعنى بل على العكس من ذلك وأنّ اللفظ المقدّم كان بيانه أهم وأعنى من أن يؤخّر.

- ويعرفه "عبد القاهر الجرجاني"(ت474هـ): " هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا يزال ترى شعرا

1- إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط، ص 8 .

2- مصطفى بدر زيد ، البلاغة التطبيقية ، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، (1926م) ، ص81.

3- سيبويه، الكتاب، ص34.

يروقك مسمعه ، ويلطّف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك ، أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان " ¹ .

* يبيّن الجرجاني في قوله : أنّ للتقديم والتأخير فوائد ومحاسن كثيرة، تصفي للكلام حسنا وجمالا بلاغيا ، ولكنه لا يكون إلا لأسباب وأغراض تحتمّ فيه تحويل وتقديم اللفظ من مكان إلى مكان آخر.

- عرّف التقديم والتأخير على أنّه : " وسيلة أسلوبية للتغيرات التعبيرية ، فهو انحراف أو عدول عن النمط العادي للجملة بقصد تحقيق تأثير أسلوبيّ معيّن " ² .

* التقديم و التأخير من خلال هذا التعريف هو طريقة أسلوبية ترقى بالتعبير إلى مستوى بلاغي متميّز ، وهو انزياح وعدول عن الأصل في تركيب الجملة العربية لتحقيق التأثير والغرض المعين .

1- الجرجاني(أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي)، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ص106.

2 - علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج1، (2006م) ، ص 45.

المبحث الرابع: أسباب التقديم والتأخير

أولاً: الأسباب النحوية

1- الجملة الاسمية :

أ- تقديم المبتدأ والخبر وجوباً :

- تقديم المبتدأ وجوباً : الأصل في ترتيب الكلام داخل "الجملة الاسمية" أن يأتي المبتدأ ويليه الخبر، ولكن هناك بغض الأحوال الدلالية والبلاغية التي تؤدي إلى تقديم المبتدأ على الخبر وجوباً، أي إنّه واجب التقديم ، ونقدّم تلك المواضع على النحو التالي :

- أن يكون كلّ من المبتدأ والخبر معرفة أو نكرة صالحة لجعلها مبتدأ، ولا يوجد في الكلام ما يميّز المبتدأ عن الخبر، نحو: "زيدٌ أخوك"، فإنّنا في هذه الجملة نريد الإخبار عن " زيد " أمّا إذا أردنا الإخبار عن " الأخ " نقول : أخوك زيدٌ¹.

- أن يكون الخبر جملة فعلية ، فاعلها ضمير مستتر يعود على المبتدأ نحو: " زيد جاء " ولا يجوز التقديم فيقال "جاء زيد " لأنّ الجملة تتحوّل مع التقديم من الاسمية إلى الفعلية .

- أن يكون الخبر لمبتدأ دخلت عليه لام الابتداء ، قال تعالى: { وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ } [البقرة ٢٢١] ، ونشير إلى أنّ لام الابتداء في " لعبدٌ " لها الصدارة في الجملة ، ولذلك يجب تقديمها مع ما دخلت عليه وهو المبتدأ ، وقد لجأ الشاعر في تقديم الخبر " خالي " على المبتدأ " لأنت " في قوله:²

خالي لأنت، ومن جرير خاله ****
يَنَلِ الْعَلَاءِ وَيَكْرُمُ الْأَخْوَالَا

وهذا التقديم شاذ ولا يجوز القياس عليه .

1- محمود سليمان ياقوت ، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلاميّة ، الكويت ، ط جديدة

(1996م) ، ص288، 289 .

2 - المرجع نفسه ، ص 291، 292.

- أن يكون الخبر محصوراً فيه المبتدأ بـ "إلا" أو "إنما" ، قال تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ } [آل عمران ١٤٤] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ } [هود ١٢] ، ونقول : إنما المتنبى حكيم ، وما النيل إلا حياة مصر ، فلا بدّ من تقديم المبتدأ على الخبر حتى يضل الحصر الموصول إلى معنى معيّن¹ .

- أن يكون المبتدأ من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام مثل : " أسماء الاستفهام " نحو : من جاء ؟ ، و " أسماء الشرط " نحو : من يفعل الخير يلقَ الثَّواب ، و " ما " التَّعجيبية نحو : ما أجمل السَّماء ، و " كم " الخبرية نحو : كم رجلٍ حضر² .

- تقديم الخبر وجوباً : يجب تقديم الخبر على المبتدأ في المواضع الآتية :

- أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوِّغ إلاّ تقدم الخبر ، والخبر ظرف أو جار ومجرور نحو : " عندك صديقٌ " ، " في الكلية مكتبةٌ " فلا يجوز تقديم المبتدأ " صديقٌ " و " مكتبةٌ " على الخبر " عندك " و " في الكلية " .

- أن يكون المبتدأ مشتملاً على ضمير يعود على جزء من الخبر ، نحو : " في الكلية طلابٌها " " إنَّ الضمير " ها " في " طلابها " يعود على جزء من الخبر وهو " الكلية " ، ولا يصح أن نقول : طلابها في الكلية ، حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً ، وقال الشاعر :

أهابك إجلالاً وما بك فُدرةٌ **** عليّ ولكن ملءُ عينِ حبيبِها

والضمير في " حبيبها " عائد على " عين " وهو متّصل بالخبر ، ولو قلت : " حبيبها ملء عين " لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً³ .

- أن يكون الخبر له الصدارة في الجملة ، وذلك إن كان اسم استفهام نحو : أين الكتاب ؟

1- المرجع السابق ، ص 292 ، 293 .

2- المرجع نفسه ، ص 293 .

3- المرجع نفسه ، ص 295 ، 296 .

ولا يجوز أن تقول : الكتاب أين ؟ لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الجملة .

- أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ نحو: " إنّما في الكلية علي " ، " و ما في الدار إلا زيد¹ .

ب- تقديم المبتدأ والخبر جوازا :

- أجاز النحويون في غير الحالات السابقة التي يجب فيها التزام أن يتقدم المبتدأ على الخبر وأن يتأخر عنه ، مع ملاحظة أن تقدم المبتدأ هو الأصل فلا يجوز العدول عن هذا الأصل إلا لسبب بلاغي ، ومن الضروري أن نقرر أنّ المعنى المستفاد في حالة تقدم الخبر يختلف عن المعنى الحاصل في حالة تأخره ، وقد درس البلاغيون أثر التقديم والتأخير في المعاني ولعلّ أهم الفروق التي تلمسها عبد القاهر تتمثل في أنّ تقديم المبتدأ يفيد نوعا من تأكيد الإسناد إليه أو يدلّ على معنى الحصر فيه² ، أمّا تقديم الخبر ففضلا عن خلوه من هذا التأكيد والحصر فإنّه يشير إلى أهميّة المسند ، فالخبر يتقدم على المبتدأ جوازا في نحو: " في الدار زيد " ، وقوله تعالى: { سَلِّمْ هِيَ } [القدره] ، { وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ } [يس 37] وإنّما لم يُجعل المقدم في الآيتين مبتدأ والمؤخر خبرا لأدائه إلى الإخبار عن النكرة بالمعرفة³.

1- المرجع السابق ، ص296،297.

2- علي أبو المكارم، الجملة السمية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1، (2007م)، ص58،57.

3- ابن هشام الأنصاري (أبي محمّد عبد الله جمال الدين) ، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار الكتب العلميّة، بيروت

لبنان، ط4، (2004م) ، ص120.

2- الجملة الفعلية :

أ- الترتيب بين الفعل والفاعل :

- **وجوبا:** يوجب جمهور النحويين تأخر الفاعل عن فعله لأنّ الفاعل جزء _ أو كالجزء _ من فعله من ناحية ، ثمّ إنّ الفعل عامل فيه ، معنى هذا أنّه لا يصح أن يتقدّم عليه ، إذ لا يمكن أن يتقدّم بعض الكلمة على بعض ، كما ينبغي متقدم وجب عند الجمهور تقدير الفاعل ضميرا مستترا في الفعل أو ما أشبه واعتبار الاسم المتقدم : إما مبتدأ، كما في نحو: "محمد نجح" ، وإما جائز الوجهين كما في نحو قوله تعالى : { أَبَشَّرَ يَهْدُونَنَا } [التغابن ٦] و { ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ } [الواقعة ٥٩] .

- **جوازا:** أجاز النحويون تقدم الفاعل على فعله ، وهؤلاء هم الكوفيون ، الذين يستشهدون بقول الزبّاء :

ما للجمال مشيها وئيدا **** أجندلا يحملن أم حديدا

ووجه الاستشهاد في هذا البيت " مشيها " روى مرفوعا ، ولا جائز أن يكون مبتدأ إذ لا خبر له في اللفظ إلا " وئيدا " وهو منصوب على الحال ، فتعين أن يكون فاعلا بـ " وئيدا " مقدما عليه ، فقد تقدم الفاعل على المسند¹ .

ب- الترتيب بين الفاعل والمفعول :

- **وجوبا :**

- **وجوب تقدم الفاعل على المفعول :** يجب تقديم الفاعل على المفعول في الجملة الفعلية في المواضع الآتية :

- إذا حدث لبس لم يتبين معه الفاعل من المفعول: نظرا لعدم ظهور العلامة الإعرابية وعدم وجود علاقة لفظية أو معنوية وذلك نحو: استقبل موسى عيسى ، فإنّه يكون المقدم فاعلا لأنّه لا دليل على الفاعل حينئذ إلا تقدّمه .

1- علي أبو المكارم، الجملة الفعلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1 ، (2007م) ، ص 19.

- أن يقع المفعول محصورا فيه : ب "إنّما" باتفاق النحويين لأنّه لو قُدّم المفعول على الفاعل لانقلب المعنى المراد إذ معنى : إنّما تفسد السلطة الحكّام _ مثلا_ حصر إفساد السلطة في الحكّام وحدهم فهي لا تفسد غيرهم ، في حين يجوز أن تكون ثَمّة عوامل إفساد أخرى للحكّام غير السلطة ، فلو قُدّمنا المفعول وقلنا : إنّما تفسد الحكّام السلطة لكان معنى هذا حصر إفساد الحكّام في السلطة وحدها ومقتضى هذا أنّ الحكّام لا يفسدهم شيئا غير السلطة التي لا يقتصر فسادها عليهم وحدهم ، وهكذا ينقلب المعنى المقصور بالنسبة للفاعل والمفعول¹ .

- إذا كان كلّ من الفاعل والمفعول ضميرا متّصلا : نحو "أكرمك ، استقبلته ، أهملتموه وذلك لأنّ تأخير الفاعل يؤدي إلى انفصال الضمير، مع إمكان اتّصاله ، وذلك غير جائز عند النّحاة .

- إذا كان الفاعل ضميرا متّصلا والمفعول اسما ظاهرا : نحو قول جميل بن معمر :

تنادى آل بئينة بالرواح **** وقد تركوا فؤادك غير صاح

فالفاعل "ترك" قد اتّصل بفاعله وهو الضمير وتأخّر المفعول وهو "فؤاد"² .

- تقديم المفعول به على الفاعل وجوبا : يتقدّم المفعول به على الفاعل في موضعين :

أحدهما : أن يتّصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به نحو: " قاد السيّارة صاحبها " ومنه قوله تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ } [البقرة: ١٢٤] ، ولا يجوز تقديم الفاعل وتأخير المفعول به في هذا الموضع كي لا يعود الضمير على متأخّر لفظا ورتبة .

فإذا اتّصل بالمفعول به ضمير يعود على الفاعل جاز تقديمه وتأخيره نحو: " أنهى الأستاذ درسه" و " أنهى درسه الأستاذ" لأنّ الفاعل رتبته التقديم ، سواءً أن تقدّم أم تأخّر .

والثاني : أن يُحصر الفاعل نحو : " ما سابق سعيد إلاّ سمير " وإنّما سابق سعيد سمير " ومنه قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: ٢٨]³ .

1- المرجع السابق، ص 92،93.

2- المرجع نفسه ، ص94.

3- محمد أسعد النّادري ، نحو اللغة العربية ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط2 ، (1997م) ، ص497 .

- جوازا : ويجوز الأمران تقدّم الفاعل على المفعول وتأخّره عنه في غير الحالات السابقة التي يجب فيها واحد منهما ، ومن ذلك قولك : " ركب الموجة الانتهازيون " ، فإنّ بوسعك أن تقول: " ركب الانتهازيون الموجة " ، ولقد وردت نصوص لغوية كثيرة تقدّم فيها المفعول على الفاعل مع جواز تأخّره عنه ، كما وردت نصوص تقدّم فيها الفاعل على المفعول مع جواز تأخّره أيضا ، ومن النوع الأوّل قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ} [القمر ٤١] ، فأل فرعون مفعول به مقدّم على فاعله ، ومن النوع الثاني قوله تعالى : { وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ } [النمل: ١٦] ، فقد تقدّم الفاعل في هذا الموضع مع جواز تأخيره¹.

ج- الترتيب بين الفعل والمفعول :

- وجوب تقدّم المفعول به على الفعل : يجب تقديم المفعول به على الفعل في المواضع الآتية :

- أن يكون المفعول مستحق الصدارة بنفسه ، نحو: قوله تعالى { فَأَيَّ ءَايٰتِ اللّٰهِ تُنْكِرُونَ } [غافر ٨١] ، و " أيّ " مفعول " تنكرون " مقدّم عليه .

- أن يكون المفعول ضميرا منفصلا لو تأخّر لوجب اتصاله نحو: قوله تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة ٥] ، ومنه : " إِيَّاكَ أعنى واسمعي يا جارة " ، فإنّه لو تأخّر المفعول في هذا الموضع لوجب جعله ضميرا متصلا ، وتقدّمه يهدف إلى إفادة الحصر ومن ثمة فإنّ تأخّره يلغي هذا المعنى .

- أن يكون المفعول مستحق الصدارة بإضافته إلى مستحق له، نحو قولك : صاحب من تكرم أكرم ؟ ، وصديق من قابلت ؟ .

- أن يقع الفعل بعد " الفاء " المقصود بها الجزاء الواقعة في جواب " أمّا " ظاهرة أو مقدّرة ولم يفصل بين " أمّا " و " الفاء " بفواصل، ومثال الواقعة بعد " أمّا " المقدّرة قوله تعالى :

{ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ } [المدثر ٣]

1- علي أبو المكارم، الجملة الفعلية ص99.

[٥] ، ومثال الواقعة بعد أمّا الظاهرة قوله تعالى : { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ } [الضحى ٩-١٠] وإنّما يجب تقديم المفعول في هذا الموضع حتّى لا تقع الفاء بعد " أمّا " الملفوظة المقدّرة مباشرة دون فصل ، وذلك لا يجوز ، ولذلك تقدّم المفعول ليفصل بينها .

ومن ثمة إذا وجد منصوب آخر غير المفعول بين " أمّا " و " الفاء " فإنّه لا يجب تقديم المفعول ، كما في نحو قولك : " أمّا اليوم فناضل عدوك " ¹.

- امتناع تقدّم المفعول على الفعل : يمتنع تقدّم المفعول على الفعل _ بالإضافة إلى ما سبق ذكره من مواضع يجب فيها أن يتأخّر عن الفاعل _ في مواضع أخرى ، أهمّها :

- إذا كان الفعل للتّعجب نحو: ما أحسن صدق النضال ! ، وما أكرم كفاح الأبطال!

فكلّ من (صدق) و(كفاح) منصوب بالفعل السّابق عليه ، ولا يصحّ أن يتقدّمه عند جمهور النّحويين ، لأنّه لا يتقدّم على (ما) التعجبية ما في حيزها .

- إذا كان الفعل منصوباً بحرف مصدري ، نحو: يرضني أن تؤدّي واجبك ، ف(واجبك) مفعول للفعل (تؤدّي) المنصوب ب(أن) المصدرية ، ولا يصحّ أن يتقدّم المفعول على الفعل حتى لا يفصل بين (أن) المصدرية والفعل المنصوب بعدها عند جمهور النّحويين كما لا يصحّ أن يتقدّم المفعول على (أن) والفعل معاً، حتّى لا يتقدّم على (أن) ما في حيزها عندهم ومثله قولك : فلنناضل معاً لكي نسحق الفساد والانحراف ².

- إذا كان الفعل مجزوماً بغير أداة الشرط ، فإنّه لا يصحّ أن يتقدّم المفعول على الفعل وحده ، وإن أجاز النّحاة تقدّمه على الفعل والجازم معاً، وذلك حتّى لا يفصل بين أداة الجزم والفعل عند جمهور النّحويين ، ومن ذلك قوله تعالى: { ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ }

[الحج ٢٩] .

- إذا كان مفعولاً لفعل الشرط : نحو قوله تعالى { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء ١٢٣]

1- المرجع السابق، ص 101، 100.

2- المرجع نفسه ، ص 101.

الفصل النظري

فإنّه لا يصحّ تقديم (سوءاً) الذي وقع مفعولاً على فعل الشرط وأداته ، حتّى لا يتقدّم على أداة الشرط ما في حيزها .

- إذا كان المفعول به مصدراً مؤوّلاً من (أنّ) المؤكّدة ومعمولها ولم يتقدّم عليها (أمّا) سواء أن كانت (أنّ) مخفّفة نحو قوله تعالى { عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ } [المزمل ٢٠] ، أو مشدّدة نحو قوله تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة ١٠٦] فإذا تقدّمت (أمّا) لم يمتنع تقدّم المفعول ، بل جاز نحو قولك : أما الأمر يزداد سوءاً فقد أدركت ، وأما أنّه لا سبيل إلّا النضال فقد أيقنت¹ .

- جواز الترتيب بين الفعل والمفعول به : يجوز تقدّم المفعول به على الفعل ، كما يجوز تأخّره عنه ، في غير الحالات التي يجب فيها واحد منهما ، نحو قوله تعالى : { فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة ٨٧] ، وقوله { فَرِيقًا هَدَىٰ } [الأعراف ٣٠] وإذا كان تقدّم المفعول في هذا الموضع جائزاً نحويّاً، فإنّه ينبغي أن يراعي هنالك غرض بلاغي يهدف التقديم إلى تحقيقه ، حتى لا يكون ترتيب الجملة نتاج عبث لا تفكير فيه، ولا هدف بيتغيه².

د- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً :

- وجوباً : يجب تقديمه عليهما في أربع مسائل :

- أن يكون اسم شرط : كقوله تعالى { وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الرعد ٣٣] ونحو " أَيُّهُمْ تُكْرَمُ أَكْرَمٌ " ، أو مضافاً لاسم شرط نحو : " هَدَىٰ مَنْ تَتَّبَعُ يَتَّبِعْ بَنُوكَ " .

- أن يكون اسم استفهام : كقوله تعالى { فَأَيِّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ } [غافر ٨١] ونحو : من أكرمت ؟ وما فعلت ؟ وكم كتاباً اشتريت ؟ ، أو مضافاً لاسم استفهام نحو : كتاب من أخذت ؟ .

1- المرجع السابق، ص 102، 103.

2- المرجع نفسه، ص 103.

وأجاز بعض العلماء تأخير اسم الاستفهام إذا لم يكن الاستفهام ابتداءً بل قُصِدَ به الاستثبات من الأمر، كأن يُقال: " فعلتُ كذا وكذا " فستثبت الأمر بقولك : فعلتُ ماذا ؟ وقولهم ببعيداً من الصواب .

- أن يكون " كم " أو " كأيّ " الخبريتين ، نحو: كم كتاب ملكتُ ! ، ونحو: كأيّ من علم حويت ، أو مضاف إلى " كم " الخبريّة نحو: " ذنب كم مذنبٍ غفرتُ " (أمّا "كأيّ" فلا تضاف ولا يضاف إليها، وإنّما وجب تقديم المفعول به إن كان واحداً ممّا تقدّم لأنّ هذه الأدوات لها صدر الكلام وجوباً، فلا يجوز تأخيرها)

- أن ينصبه جواب " أمّا " وليس لجوابها منصوب مقدّم غيره : كقوله تعالى { فَأَمَّا آلِيَّتِيْمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ } {الضحى ٩-١٠} ، (وإنّما وجب تقديمه _ والحالة هذه _ ليكون فاصلاً بين " أمّا " وجوابها فإن كان هناك فاصلٌ غيره فلا يجب تقديمه نحو: " أمّا اليوم فافعل ما بدا لك ") .

- جوازاً : يجوز تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً في نحو: " عليّاً أكرمتُ " أكرمتُ عليّاً ، ومنه قوله تعالى: { فَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا وَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا وَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا } [البقرة ٨٧] ¹.

ثانياً : الأسباب والدواعي البلاغية :

لكلّ كلمة موقع معيّن في الجملة العربية ، فالفعل سابق الفاعل والمبتدأ سابق الخبر ، هذا هو الأصل ، غير أنّه قد يدعو داعٍ لنقل بعض الكلمات من أماكنها فيدعى هذا النقل بالتقديم والتأخير .

والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالاً ، لأنّه سبيل إلى نقل المعاني في أفاضها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده ، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره .

1- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ، ط1، (2010م)، ص491، 490.

- المسند إليه يُقدّم لأغراض بلاغية منها :¹

1- التّشويق :

وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة ، من شأنها أن تُشوّق المخاطب إلى معرفة المسند ، ذلك لأنّ المسند والمسند إليه متلازمان ، والمثال الذي يمثلون به قول أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه **** حيوان مستحدث من جمادٍ

فالمسند إليه الاسم الموصول وهو (الذي) ، والجملة التي بعده : " حارت البرية فيه " صلة له ، والموصول وصلته متلازمان ، كأنهما شيء واحد، والمخاطب هنا تتشوق نفسه ويتشوق فؤاده ، لمعرفة الخبر _أعنى المسند_ ذلك لأنّ في المسند إليه غرابة ، ما الذي حارت البرية فيه يا ترى ؟ فيجيب الخبر متأخراً : " حيوان متحدث من جماد "

وكذلك إذا قرأت قول الله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَكُمَّ ۙ ۱۳ } [الحجرات] ، فالمخاطبون يستعجلون معرفة الخبر، ولا سيما أنّهم كانوا يحسبون أنّ الكرم هو البذل ، ولكنه هنا شيء آخر، إنه التقوى .

* وهكذا يمكنك بعد هذه الأمثلة أن تعي هذه القاعدة ، وهي أنّك تقدّم المسند إليه إذا كان فيه غرابة تجعل المخاطب تستشرف نفسه معرفة المسند الذي لا تتم الفائدة إلاّ به.²

2- التخصيص:

وهذا يعني أنّ المسند إليه قد يقدم ليُفيد تخصيصه بالخبر الفعلي بشرط أن يكون مسبقاً بحرف نفي نحو : " ما أنا قلت هذا " ، أي : لم أقله و لكنه مقول غيري فأنت في هذا المثال تنفي وقوع المقول منك ولكنك لا تنفي وقوعه من غيرك ، ولهذا لا يصحّ: ما أنا قلت هذا ولا غيري، فتقديم المسند إليه " أنا" أفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك.

1- محمد أحمد قاسم ، محي الدين، علوم البلاغة_البدیع البيان المعاني_، ص334.

2- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها_علم العاني_، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط4

(1997م)، ص213، 212.

وكما يتقدّم المسند إليه لقصره على المسند الفعل لا يتجاوز لغيره وإن كان الفعل يتعدّاه إلى غيره ، كذلك قد يتقدّم المسند ويتأخّر المسند إليه ، بقصد قصره عليه، نحو قوله تعالى : { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } [المائدة: ١٢٠] ، فملك السموات والأرض مختصّ بكونه لله أي مقصور عليه ومنحصر فيه ¹.

3- أن تقدّمه هو الأصل ولا مقتضى العدول عنه :

أمّا كون الأصل فيه التقدّم فمرجعه إلى أنّ مدلوله هو الذات المحكوم عليها، والمسند هو الوصف المحكوم به ، أي إنّه مطلوب للمسند إليه ، وهكذا فإنّ تعقّد (إدراك) الذات المحكوم عليها سابق على تعقّل الوصف المحكوم به ، كقولك " محمّد رسول الله " جئت بالمسند إليه " محمّد مقدّمًا ، لأنّ تقديمه هو الأصل ، ذلك أنّه هو المحكوم عليه بالرسالة وينبغي تقديم ذكره ².

4- إفادة التعميم:

يكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدلّ على العموم وأداة تدلّ على النفي ، وتقدّمت أداة العموم على أداة النفي ، فأدوات العموم : (كل) و(جمع) و(كافة) وما يشبهها ، مثل (من) ، أدوات النفي ، (لا) و(لم) ، وما أشبههما .
فإذا أردت التعميم ، قدّمت المسند إليه، فقلت : " كلّ النّاجحين لم يأخذوا جوائزهم " " كلّ المسلمين لم يقوموا بواجبهم " " من يظلم النّاس لا يفلح " ³ ، فأنت هنا تثبت هذا الحكم لجميع الأفراد ، دون أن يستثني فردًا واحدًا ، ويسمّى هذا عموم السلب .
وسلب العموم سلب الحكم على بعض الأفراد ، وهو أن يتقدّم النفي على أداة العموم ، ومثال ذلك قول المتنبي :

1- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية _ علم المعاني_، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ط1 (2009م)، ص139،140.

2- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشنيوي، الكافي في علوم البلاغة _ المعاني البيان البديع _ ، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، ط1، (1993م)، ص133،134.

3- فضل حسن عبّاس ، البلاغة فنونها وأفانها _ علم المعاني_، ص223،224.

ما كُلُّ ما يتمنى المرءُ يُدرِكُهُ **** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن¹

ومما يكون التّقديم فيه لتقوية الحكم، أيضا تقديم أداة العموم، مثل قولك: " كل إنسان لم يقم " فهو أقوى دلالة على العموم من قولك: " لم يقم إنسان " ².

- وحين تتقدّم أداة العموم على أداة النّفي وهي غير معمولة للفعل ، ويسمى شمول النّفي وعموم السلب ، نحو: " كل ظالم لا يفلح "، المعنى لا يفلح أحد من الظّلمة فإذا كانت أداة العموم معمولة لما بعدها سواء قدّمت لفظا أو أخرت ، أفاد الكلام نفي الشمول وسلب العموم غالبا، نحو قولك: " كل ذنب لم أصنع " ³.

5-تعجيل المسرة للتفاؤل، أو المساءة للتطير:

فالأول: لما يوحى به من تفاؤل نحو: " سعد في دارك " ⁴، ونحو" الجائزة فزت بها " ⁵.
والثاني: كقولك: " القصاص أمر محتوم في هذه القضية " و" السّفاح آتٍ في نهاية الشهر " و" حربٌ في الطريق إليك " .

تقدّم المسند إليه في هذه الأمثلة جميعا، ليحدث ذلك في نفس المتلقّي انطبعا يناسب طبيعة الاسم الذي يفتح به الكلام ، فاللفظ قد يوحى بالتّعظيم أو التّحقير ⁶ .

- ومن مقضيات تقديم المسند : يقدم المسند على المسند إليه ، والمسند كما نعلم حقّه التأخير ولكننا نقدّمه إذا اقتضى الحال تقديمه :

1- تخصيصه بالمسند إليه: أي قصر المسند إليه على المسند كقولك: " مسلم أنا وعربيّ أنا " حيث أفاد تقديم المسند في المثالين " مسلم " و " عربيّ " قصرك على صفة الإسلام ثمّ العروبة ، لا تتجاوزها إلى صفة أخرى ككونك شرقيا أو غربيا مثل: قوله تعالى { لَكُمْ دِينُكُمْ

1-المرجع السابق ، ص225،224.

2- عبد المتعالي الصّعدي ، البلاغة العالية_علم المعاني _، مكتبة الآداب، مصر، ط2،(1991م)، ص91.

3-مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية ، ص82.

4- محمّد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة _البدیع البيان المعاني_ ، ص335.

5-مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربيّة ، ص736.

6- عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتوي ، الكافي في علوم البلاغة العربيّة ، ص 134.

وَلِي دِينَ { الكافرون ٦ } ، أي: دينكم مقصور على اتّصافه بكونه لكم، لا يتجاوزه إلى اتّصافه بكونه لي، وديني مقصور على الاتّصاف بكونه لي لا يتجاوز إلى اتّصافه بكونه لكم¹.

2- التنبيه على أنّ المقدم خبر لا نعت : ويكون تقديم المسند للتنبيه من أوّل الأمر على أنّه خبر لا نعت ، كقول حسّان بن ثابت في مدح رسول الله (من الطويل)²:

له همم لا منتهى لكبارها **** وهمتة الصغرى أجل من الدهر

فإنّه لو قال : همم لتوهم أنّ كلمة " له " نعت لا خبر لأنّ النكرة تحتاج إلى الصفة أكثر ممّا تحتاج إلى الخبر، وإنّ كان هذا التوهم سرعان ما يزول إلّا أنّ إيقاع المعنى في النفوس من أوّل وهلة أولى بمقام المدح ، ليتمكّن في نفس السامع وتجرى الصفات العظيمة الواردة على الهمم من كون كبارها لا منتهى لها وصغارها أجل من الدهر وقس على هذا ما أشبهه³.

3- التشويق إلى المتأخّر: التشويق إلى ذكر المسند إليه بتضمّن المسند ما يشوق إلى تعرف المسند إليه ، ومنه قول محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها **** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

جاء بالمسند الخبر " ثلاثة " مقدّما ، لاشتماله على وصف مُشوّق لذكر المسند إليه⁴.

4- التّفاؤل أو التّشاؤم : أن يكون في المسند ما يدعو إلى التّفاؤل بالخير أو التّشاؤم من الشرّ ويريد موجّه القول المبادرة بما يحدث في نفس المتلقّي من التّفاؤل أو التّشاؤم .

كأن تقول لمن تريد أن يحسّ بالتّفاؤل : " مع آذان الفجر، أو عند شروق الشمس ولادة ابنك " وكأنّ تقول لمن تريد إثارة تشاؤمه : " وقد سألت متى يكون زواجه : حين تصيح البومة زواجك ومن إرادة الإشعار بالتّفاؤل ، قول الشاعر :

1- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية_ المعاني البيان البديع_مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، د ط، (2000م)، ص204.

2 -محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكييب دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، (1996م)، ص315.

3- المرجع السابق، ص 204.

4- عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، ص205.

سعدت بغيره وجهك الأيام **** وتزيّنت بليقائك الأعوام¹ .

* وهكذا فإنّ أعراض التّقديم والتّأخير كثيرة وغير متناهية ، تخضع حسب مقاصد ونفسية الشاعر التي من خلالها يتحدّد الغرض المراد .

1- عبد الرحمان حسن حبنّك الميداني، البلاغة العربية _أسسها وعلومها وفنونها_، دار القلم، دمشق، ط1، ج1، (1996م)، ص380.

الفصل التطبيقي

المبحث الأوّل: نبذة عن حياة أبي القاسم الشّابي.

1- مولده ونشأته:

أجمع المؤرخون على أنّ مولد "أبي القاسم الشّابي" ، كان في سنة 1909م ثمّ يرجح الأستاذ أبو القاسم محمد كروانة ولد في شهر مارس(آذار) ، وكانت ولادته في بلدة الشّابيّة وإليها كانت نسبته ، وقد عرف في بيت الشّابي على مدى أجيال بالعلم والفضل وكان الشيخ محمد بن بالقاسم الشّابي _والد شاعرنا_ عالما فاضلا ، درس بالجامع الأزهر في القاهرة ثمّ بجامع الزيتونة بتونس ، وحصل على إجازة " التطويح " وهي شهادة إتمام الدّراسة بالزيتونة ، ممّا أتيح إلى أبي القاسم الشّابي أن يملئ عينه من ثقافة والده المتنقلة من بلد إلى بلد آخر في شتّى أنحاء تونس أن يتغذّى من علمه الغزير، وقد استغرقت هذه الفترة من حياة شاعرنا ما يقارب 20 عاما ، إلى أن توفي والده سنة 1929م .

بدأ الشّابي حياة التحصيل منذ صباه الباكر، حيث ألحقه أبوه بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وفي سن التاسعة كان قد حفظ القرآن كلّهُ ، فقرّت به عين والده ، ولعلّه أي والده_ قد رغب في أن يوجّهه إلى دراسة من نوع دراسته ، فتعهد بنفسه على مدى عامين ، يلقنه علوم العربية ومبادئ العلوم¹ الدّينيّة ، ويرشده إلى ما يطالع من الكتب التي كانت تحتويها مكتبته وفي مستهلّ عامه الثّاني عشر قدّم شاعرنا إلى تونس لكي يستأنف دراسته بجامع الزيتونة وبعد مضيّ ما يقرب من تسع سنوات حصل على نفس الإجازة التي حصل عليها أبوه من قبل ، لكنّ استعداداه كان مخالفا لأبيه ، حيث استأثرت باهتمامه دواوين الشّعر العربي التي أتيح له أن يقرأها ، سواء منها القديم والحديث ، حيث بدأت موهبته الشّعريّة تتفتّق وتتفتّح فإذا به يكتب الشّعر وهو بعد لم يتمّ عامه الخامس عشر، ومنذ ذلك الوقت عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره ، لقد كان الشّعر طريقه وكان قدره المقدر² .

¹ - أبو القاسم الشّابي ، ديوان أغاني الحياة، دار العودة_بيروت_، د ط، (1997م)، ص8،7.

² - المصدر السابق ، ص9.

- تزوّج أبو القاسم سنة (1929م) قُبيل وفاة والده بقليل وكان قد رُزق بولده البكر.

2-ديوانه:

جمع الشّابي ديوانه في صيف (1934م) وسَمّاه " أغاني الحياة " وقد رتّبته بنفسه واختار ما يريد من القصائد وأهمّل البعض الآخر، وكان يعدّه بذلك للطّبع ولكنّ الموت منعه من ذلك ، فتولّى أخوه " محمد الأمين الشّابي" تلك المهمّة ، فنشر الدّيوان بإشراف " أحمد زكي أبو شادي" سنة (1954م) ، وتميّزت تلك الطّبعة بأنّها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشّاعر نفسه لقصائده ، فلم يطرأ أيّ تعديل على الديوان ، إلّا بإضافة بعض قصائد لم يثبتها الشّاعر وهي : - نظرة في الحياة - أنشودة الرّعد - في الظلام - أيّها الليل - شعري - أيّها الحب - أغنية الأحران - جدول الحب .

2-وفاته:

أصيب " أبو القاسم " بداء تضخّم القلب ، في السنّة التي فقد فيها والده ، وكان في الثّانية والعشرين من عمره ، وقد اشتدّ عليه المرض سنة (1934م) ، فتوجّه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في 26 أغسطس بقي فيها حتّى توفّي سحر يوم 9 تشرين الأوّل_أكتوبر (1934م) ، ونُقِل جثمانه إلى بلده " توزر " حيث دُفن بها ¹.

¹ - أبي القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة ، دار الكتب العلميّة _بيروت لبنان_، ط4، (2005م) ، ص7،8.

المبحث الثاني : التقديم والتأخير وأسبابه النّحويّة والبلاغيّة في (ديوان أغاني الحياة لشّابي - نماذج مختارة -)

إنّ الجملة العربية تسير وفق نمط خاص في ترتيب بناءها ، فلكلّ عنصر من عناصرها موقع محدّد في تركيب الجملة سواء أكانت اسميّة أو فعليّة ، فإذا تحرّكت أجزاءها تقدّما وتأخيرا ، إمّا بتقديم المسند على المسند إليه في الجملة الاسميّة ، أو بتقديم المسند إليه إذ رُتبتة التأخير على المسند في الجملة الفعليّة ، مع بيان العلل النّحويّة أولاً والدواعي البلاغيّة والجماليّة ثانياً في الخروج على أصل الرتبة المحفوظة .

ومن خلال قراءتنا لديوان " أغاني الحياة " للشّابي انتقينا منه بعض النماذج التي من خلالها سنجري عليها التّطبيق وهي : - قصيدة أيّها الليل - شجون - صلوات في هيكل الحب - أيّتها الحاملة بين العواصف - صوت من السماء - نكرو صباح .

أولاً: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

1 - قصيدة أيّها الليل :

البيت 14 : فلك الله ! من فؤاد رحيم *** ولك الله ! من فؤاد كئيب

في صدر البيت : تقدّم الخبر " لك " على المبتدأ " الله " (جوازا) ، فتقدير القول " الله لك "

الملاحظ أنّ الخبر في صدر هذا البيت قد تقدّم على المبتدأ ، اقتضى هذا التّقديم غرض بلاغي منه : تعجيل المسرّة للتّناول ، فقدّم الخبر لكي يخبر بعظمة الله ورحمته في بعث روح المسرّة والتّناول في فؤاد المخاطب .

أمّا بالنسبة لعجز البيت : فقد تقدّم هنا أيضا الخبر " لك " على المبتدأ " الله " (جوازا) فتقدير القول كذلك " الله لك " ، أمّا من النّاحية الدلالية فقد اختلفت بين الصدر والعجز ، فهنا نجد أنّ الغرض البلاغي جاء : تعجيل المساءة للتّطير .

البيت 27 : لا يغرنك ابتسام بني الأر *** ض فخلف الشعاع لذعّ اللهب

في عجز البيت : هنا تقدّم الخبر الواقع شبه جملة " خلف الشّعاع " على المبتدأ " لذع اللّهب " (جوازا) فالأصل أن يقال : " فلذع اللّهب خلف الشّعاع " ، أمّا بالنسبة للغرض البلاغي فهو : الحيلة والحذر .

البيت 28 : أنت تدري أنّ الحياة قطوب *** وخطوب ، فما حياة القطوب ؟

وقع التّقديم والتّأخير في عجز البيت ، فتقدّم الخبر " فما " على المبتدأ " حياة " (وجوبا) فتقدير القول " حياة القطوب فما ؟ ، فالخبر هنا له حق الصدارة في الجملة ، وذلك لأنّه ورد اسم استفهام ، فالغرض هنا من تقديمه هو : الاهتمام بأمر المتقدّم .

البيت 45 : وعجيب أن يفرح النّاس في كهف الليالي ، بحزنها المشبوب !

هنا تقدّم الخبر " عجيب " على المبتدأ " أن يفرح " الواقع مصدرا مؤولاً وتقدير القول : أن يفرح (الفرح) عجيب (جوازا) ، فالغرض الدّاعي هنا من تقديمه هو : الاستغراب والدّهشة .

2- قصيدة شجون :

البيت 3 : كلّ دهر يمرّ يفجع قلبي *** ليت شعري ! أين الزّمان المؤسي

في العجز: تقدّم الخبر " أين " على المبتدأ الزّمان (وجوبا) ، فالخبر هنا ورد اسم استفهام لذلك له حق الصدارة في الجملة ، فتقدير القول : " الزّمان المؤسي أين " ، فالغرض البلاغي الوارد هنا هو : الحيرة والتّساؤل .

البيت 4 : في ظلام الكهوف أشباح شؤم *** وبهذا الفضاء أطياف نحس

في الصدر: الشّاهد هنا تقدّم شبه الجملة المكوّنة من الجار والمجرور " في ظلام الكهوف " والمضاف إليه " الكهوف " مقدّم ، والمبتدأ " أشباح " وهو مضاف و " شؤم " مضاف إليه

(جوزا) ، لغرض بلاغي منه تعجيل المساء للتطير، فتقدير القول : أشباح شؤم في ظلام الكهوف .

أما في العجز : فكذلك تقدّم شبه الجملة " بهذا الفضاء " المكوّنة من حرف الجرّ والاسم المجرور وهو مضاف والفضاء مضاف إليه ، وبهذا تقدّم الخبر " بهذا الفضاء " على المبتدأ " أطياف " (جوزا) ، فالأصل أن يقال : وأطياف نحس بهذا الفضاء ، لغرض بلاغي منه : تعجيل المساء للتطير .

البيت 5 : وخلال القصور أنات حزن *** وبتلك الأكواخ أنضاء بؤس !

في الصدر : تقدّم الخبر " خلال " على المبتدأ " أنات " (جوزا) ، فتقدير القول : وأنات حزن خلال القصور .

أما العجز : تقدّم الخبر " تلك " على المبتدأ " أنضاء " ، فالغرض البلاغي من التقديم والتأخير في هذا البيت بما فيه الصدر والعجز هو : إظهار الحزن والأسى .

3- قصيدة " صلوات في هيكل الحب " :

البيت 1 : عذبة أنت كالطفولة كالأحلام *** كاللّحن ، كالصّباح الجديد

هنا تقدّم الخبر " عذبة " على المبتدأ " أنت " (جوزا) فتقدير القول : " أنت عذبة كالطفولة ... " ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص والقصر .

البيت 9 : أنت ... ما أنت ؟ رسم جميل *** عبقرّي من فن هذا الوجود

هنا وقع التّقديم في " ما أنت ؟ " فتقدّم الخبر " ما " على المبتدأ " أنت " (وجوبا) ، فتقدير القول : " أنت ما ؟ " إذ تقدّمت " ما " وهي اسم استفهام وأسماء الاستفهام لها حق الصدارة في الجملة ، لغرض بلاغي منه : الاهتمام بالمتقدّم .

البيت 10 : فيك ما فيه من غموض وعمق *** وجمّال مقدّس معبود

تقدّم الخبر " فيك " على المبتدأ " ما " (جوازا) فتقدير القول : " ما فيك فيه... " ، لغرض بلاغي منه : التّسوية .

البيت 11 : أنتِ ما أنتِ ؟ أنتِ فجر من السحر *** تجلّى لقلبي المعمود

وقع التّقديم في " ما أنت ؟ " فتقدّم الخبر " ما " إذ له حق الصدارة في الجملة لأنّه من أسماء الاستفهام على المبتدأ " أنت " (وجوبا) فتقدير القول : " أنت ما " ، لغرض بلاغي منه : التّساؤل والاستغراب .

البيت 34 : أنتِ... أنتِ الحياة فيك وفي عينيك آيات سحرها الممدود .

هنا جاء الخبر " فيك " متقدّم على المبتدأ " آيات " (جوازا) ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص .

البيت 65 : حرام عليك أن تهدي ما *** شاده الحسن في الفؤاد العميد

في الصدر : فالتّقدير " أن تهدي حرام عليك " ، و(أن تهدي) مصدر مؤوّل مبتدأ ، و " حرام " خبره ، تقدّم هنا الخبر على المبتدأ (جوازا) أي تقديره : "هدمك ما شاده الحسن حرام عليك " اقتضى هذا التّقديم غرض بلاغي منه : التّحذير والتّنبية .

4- قصيدة " صوت من السّماء " :

البيت 5 : ما هذه الدنيا الكريهة ؟ ويلها ! *** وحقت عليها لعنة الأحقاب !

تقدّم الخبر " ما " على المبتدأ " هذه " (وجوبا) فالخبر له حق الصدارة لأنّه من أسماء الاستفهام ، فتقدير القول : " هذه ما " لغرض بلاغي : الحيرة والتّساؤل والاستغراب .

5- قصيدة " ذكرى صباح " :

البيت 26 : للشّاع الجميل أنت ، وللأنسا *** م ، والزهر ، فالعبي ، وأطيلي

هنا تقدّم فعلا الخبر الواقع شبه جملة " للشّعاع الجميل " وتأخّر المبتدأ " أنت " (جوازا)
فتقدير القول : " أنت للشّعاع الجميل ... " فالتّقديم كان غرضه : التّخصيص والقصر .

ثانيا : التّقديم والتّأخير في الجملة الفعلية :

1 - قصيدة أيّها الليل :

البيت 3 : فيشير التّشيد نكري حياة *** حجبها غيوم دهر كئيب

فلاحظ من خلال عجز البيت أنّه قد طرأ عليه تغيير في مراتب عناصره ، إذ نجد بأنّ
المفعول به " الهاء " الذي وقع ضميرا متّصلا بالفعل في " حجبها " قد تقدّم على الفاعل
" غيوم " (جوازا) ، فالأصل أن يقال : " غيوم حجبها دهر كئيب " .

أمّا من النّاحية البلاغية فنجد بأنّ المفعول به " الهاء " قد تقدّم على الفاعل " غيوم " ، هذا
التّقدّم الحاصل لم يكن عشوائيا وإنّما كان قصديا متعمدا من قبل الشّاعر ، لغرض بلاغي
منه : تعجيل المساء للتّطير ، فكأنّ الشّاعر بنفسيته المتشائمة قد عجل بذكر المفعول به
ليخبر بأنّ هذه الذكرى (ذكرى حياة) قد حجبت وتلاشت من غيوم الدّهر الكئيب .

البيت 27 : لا يغرّنك ابتسام بني الأر *** ض ف خلف الشّعاع لذع اللهب
في صدر البيت : تقدّم المفعول به " الكاف " ، الواقع ضمير متّصل بالفعل في " يغرّنك " على
الفاعل ابتسام (جوازا) ، أمّا بالنسبة للغرض البلاغي فهو : الحيطة والحذر .

البيت 31 : نظرة مزقت شغاف الليالي *** فرأت مهجة الظلام الهيب

تقدّم الفاعل " نظرة " في صدر البيت على الفعل " مزقت " (جوازا) ، فالأصل في هذا
الموضع أن يقال : " مزقت نظرة شغاف الليالي " ، فالغرض من تقديم الفاعل وتأخير الفعل:
لتقوية الحكم وتوكيده .

البيت 36 : أنفوس تموت شاخصة بالهو *** ل ، في ظلمة القنوط العصيب ؟

تقدّم الفاعل " نفوس " على الفعل " تموت " في صدر البيت (جوازا) فتقدير القول : أتموت نفوس شاخصة بالهول ، لغرض بلاغي منه : الإنكار والتّحسّر .

البيت 51 : جرفت من قرارة القلب أحلا *** مي ، إلى اللحد ، جائرات الخطوب

تقدّم المفعول به " أحلامي " وتأخر الفاعل " جائرات " (جوازا) فالأصل أن يقال : جرفت جائرات الخطوب من قرارة القلب إلى اللحد أحلامي ، اقتضى هذا التقديم غرض بلاغي منه: التشويق والألم .

2- قصيدة شجون :

البيت 3 : كلّ دهر يمرّ يفجع قلبي *** ليت شعري ! أين الزّمان المؤسي

في صدر البيت : تقدّم الفاعل " كلّ " على الفعل " يمرّ " (جوازا) ، فتقدير القول : " يمرّ كلّ دهر يفجع قلبي " ، الغرض الوارد هنا هو التّحسر والتّعجب .

البيت 6 : والفضاء الأصم يعتسف النّاس ويقضي ما بين سيف وقوس

هنا تقدّم الفاعل " الفضاء " على الفعل " يعتسف " (جوازا) ، فتقدير القول : ويعتسف الفضاء الأصم النّاس ويقضي ما بين سيف وقوس ، فالنّقدّم هنا كان الغرض منه : إظهار التّشاؤم والتّطير .

3- قصيدة " صلوات في هيكل الحب " :

البيت 8 : أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر *** ض ليحيي روح السّلام العهيدا

هنا تقدّم الفاعل " ملاك " على الفعل " جاء " (جوازا) ، فتقدير القول : " أم جاء ملاك الفردوس ... " ، لغرض بلاغي منه : إظهار التّساؤل والاستبشار .

البيت 15 : كلّما أبصرتك عينايا تمشين *** بخطو موقع كالنّشيد

تقدّم المفعول به " ك " الواقع ضمير متّصل بالفعل " أبصرتك " على الفاعل " عيناى " (جوازا) ، لغرض بلاغى منه : الاهتمام بأمر المتقدم .

البيت 23 : أنتِ أنشودة الأناشيد غناكِ *** إله الغناء ربّ القصيدة

تقدّم المفعول به " ك " فى " غناكِ " على الفاعل " إله " (جوازا) ، لغرض بلاغى منه : التّخصيص .

البيت 24 : فىك شبّ الشّباب وشحه السحر *** وشدو والهوى وعطر الورود

هنا تقدّم المفعول به " الهاء " الذى وقع ضمير متّصل بالفعل " وشحه " على الفاعل " السّحر " (جوازا) ، لغرض بلاغى منه : الاهتمام بأمر المتقدّم .

البيت 48 : وإذا ما استخفّنى عبثُ الناس *** تبسّمْتُ فى أسى وجمود

تقدّم المفعول به " ي " الواقع ضمير متّصل بالفعل " استخفّنى " على الفاعل " عبثُ " (جوازا) ، لغرض بلاغى منه : الشكوى والألم .

البيت 57 : وشموسٌ وضّاءةٌ ونجوم *** تنثر النور فى فضاء مديد

هنا تقدّم الفاعل " نجوم " على الفعل " تنثر " (جوازا) ، لغرض بلاغى منه : الاهتمام بأمر المتقدّم وتأكيد الحكم .

البيت 59 : رياض لا تعرف الحلك الدّاجى *** ولا ثورة الخريف العتيد

جاء الفاعل " رياض " متقدّم على الفعل " تعرف " (جوازا) فالأصل أن يقال : " لا تعرف رياض الحلك الدّاجى " ، لغرض بلاغى منه : تقوية الحكم وتوكيده .

البيت 60 : وطيور سحرية تتناغى *** بأناشيد حلوة التّغريد

تقدّم الفاعل " طيور " على الفعل " تتناغى " (جوازا) فتقدير القول : " وتتناغى طيور سحرية " ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص .

البيت 62 : وغيوم رقيقة تتهدّى *** كأبديد من نثار الورد

الشّاهد هنا تقدّم الفاعل " غيوم " على الفعل " تتهدّى " (جوازا) فتقدير القول : " وتتهدّى غيوم رقيقة ... " ، لغرض بلاغي منه : إظهار الفرح والمسرة .

البيت 64 : كل هذا يشيده سحر عينيك *** وإلهام حسنك المعبود

التّقدّم الحاصل في هذا البيت هو تقدّم المفعول به " الهاء " كونها ضمير متّصل بالفعل " يشيده " على الفاعل " سحر " (جوازا) ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص .

البيت 65 : حرام عليك أن تهدي ما *** شاده الحسن في الفؤاد العميد

في العجز : وقع التّقديم في جملة " شاده الحسن " هنا تقدّم المفعول به " الهاء " في شاده على الفاعل " الحسن " (جوازا) ، لغرض بلاغي منه : تعجيل المسرة للتّقاؤل .

البيت 68 : فالإلاه العظيم لا يرحم العبد *** إذا كان في جلال السّجود

تقدّم هنا الفاعل " الإلاه " على الفعل " يرحم " (جوازا) فتقدير القول : " لا يرحم الإلاه العظيم العبد ... " ، لغرض بلاغي منه : إظهار العظمة والرحمة .

4- قصيدة " أيتها الحاملة بين العواصف " :

البيت 2 : والرياحين تحسب الحسك الشّرير *** والدود من صنوف الورد

تقدّم الفاعل " الرياحين " على الفعل " تحسب " (جوازا) فتقدير القول : " وتحسب الرياحين الحسك ... " ، لغرض بلاغي منه : التّشويق

البيت 8 : كتلوج الجبال يغمرها النور *** وتسمو على غبار الصّعيد

في جملة " يغمرها النور" تقدّم المفعول به " الهاء " الواقع ضمير متّصل بالفعل " يغمر " على الفاعل " النور" فالتّقديم هنا (جوازا) لأنّ المفعول به ضمير متّصل بالفعل ، لغرض بلاغي منه :الاهتمام بأمر المتّقدّم .

البيت 9 : أنتِ تحت السّماء روح جميل *** صاغه الله من عبير الورود

وقع التّقديم في جملة " صاغه الله " ، تقدّم المفعول به " الهاء " وهو ضمير متّصل بالفعل " صاغ " على اسم الجلالة " الله " (جوازا) لأنّ المفعول به ضمير متّصل بالفعل ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص .

البيت 12 : أنت لم تخلفي ليقربكي النّاس ولكن لتعبدي من بعيد...

في جملة " ليقربكي النّاس " هنا تقدّم الفعول به " الكاف " الواقع ضمير متّصل بالفعل " يقرب " على الفاعل " النّاس " (جوازا) لأنّ المفعول به ضمير متّصل بالفعل ، لغرض بلاغي منه : التّشويق إلى المتأخر .

5- قصيدة " صوت من السّماء " :

البيت 2 : الحقل يملكه جبابرة الدّجى *** والروض يسكنه بنو الأرياب

في الصّدر : تقدّم المفعول به " الهاء " وهو ضمير متّصل بالفعل " يملك " على الفاعل " جبابرة " (جوازا) لغرض بلاغي منه : إظهار العجز والمساءلة والتّطير .

في العجز : تقدّم المفعول به " الرّوض " على الفعل " يسكن " والفاعل " بنو الأرياب " (جوازا) فتقدير القول : ويسكن بنو الأرياب الرّوض ، لغرض بلاغي منه : التّخصيص .

البيت 9 : الفجر يولد باسمًا مهلّلاً *** في الكون بين دجّة وضباب

هنا تقدّم الفاعل " الفجر " على الفعل " يولد " (جوازا) ، فالأصل أن يقال : " يولد الفجر باسمًا..." لغرض بلاغي منه : تعجيل المسرّة للنّفاؤل .

6- قصيدة " ذكرى صباح " :

البيت 7 : يتغنّى مع العصافير في الغاب ، *** ويرنو إلى الضّباب الكسول

هنا تقدّم الفاعل " الملاك الجميل " في البيت 6 على الفعل " يتغنّى " في البيت 7 (جوازا)
فتقدير القول : " يتغنّى الملاك الجميل ... " لغرض بلاغي منه : التّفاؤل والاستبشار .

البيت 10 : مثل رؤيا تلوح للشّاعر الفنّان *** في نشوة الخيال الجليل

تقدّم الفاعل " مثل " وهو معرّف بالإضافة " رؤيا " على الفعل " تلوح " (جوازا) ، فتقدير
القول : " تلوح مثل رؤيا للشّاعر ... " لغرض بلاغي منه : المدح والإعجاب .

البيت 20 : وزهور من الأمانى تذوي *** في شحوب ، وخيبة ، وخمول

هنا تقدّم الفاعل " زهور " على الفعل " تذوي " (جوازا) ، فتقدير القول : " وتذوي زهور من
الأمانى... " كان الغرض منه : الخيبة والتّحسّر والحزن

البيت 21 : أنت لا تعلمين... ، واللّيل لا يعلم *** كم في ظلامه من قتيل

تقدّم الفاعل " اللّيل " على الفعل " لا يعلم " (جوازا) ، فتقدير القول : " لا يعلم اللّيل ... "
فكان الغرض من التّقديم هنا : التّخصيص .

خاتمة

بعد أن طويينا الصفحة الأخيرة من هذا البحث لا بدّ من وقفة نبيّين فيها أهمّ النتائج المتوصّل إليها :

- بعد أن حدّدنا مفاهيم لكلّ من البلاغة والفصاحة وعلم المعاني ، تبين أنّ البلاغة هي :
وضوح المعنى وإزالة الإبهام ، أمّا الفصاحة فهي : الإبانة والإيضاح . وكنا قد أشرنا إلى العلاقة التي تربط بين المصطلحين .

كما عرّف علم المعاني على أنّه علم يهتمّ بعدم التّوعر في الكلام وأداء المعنى بعيدا عن الزلل ، أمّا فيما يخصّ مباحثه فهي كثيرة ذكرنا منها ما يخدمنا كالإسناد ومتعلقات الفعل والقصر .

- يعدّ " أبو عبّاس المبرّد " أوّل من وضع مصطلح الجملة .

- أثار مصطلح الجملة جدالا بين النّحاة القدامى وبين النّحاة المحدثين ، فمنهم من سوّاها بمصطلح الكلام ومنهم من رأى بأنّها أعمّ من الكلام .

- الجملة على العموم هي : كلام تام المعنى .

- تتكوّن الجملة من ركنين أساسيين لا ثالث لهما وهما المسند والمسند إليه وما عدا ذلك فهو فضلة .

- تنقسم الجملة إلى اسميّة، وفعليّة، وظرفيّة. فالاسميّة ما ابتدأت باسم والفعليّة التي صدرت بفعل أمّا الظرفيّة فهي المصدّرة بظرف أو مجرور كما أضاف " الزمخشري " الشرطيّة .

- كما قُسمت الجملة بدورها إلى كبرى وصغرى وهما وصف للاسمية دون الفعلية .

- إنّ مسألة التّقديم والتّأخير إحدى مسائل علمي النّحو و المعاني .

- عُرِفَ التّقديم والتّأخير في الكثير من المعاجم على أنّه من قدّم وأخّر بمعنى تقديم الشيء على الشيء أو تأخيره عنه والتّقدّم عكس التّأخر. أمّا في الاصطلاح فهو : تقنيّة أسلوبية تخالف التّرتيب الأصلي المألوف للجملة .
- يطرأ التّقديم و التّأخير على عناصر الجملة العربيّة ، فيتقدّم ما الأصل فيه أن يتأخّر ويتأخّر ما الأصل فيه أن يتقدّم .
- عند تقديم لفظ أو تأخيره في الجملة لا يكون ضرباً من العشوائية وإنّما هو قصديّ متعمّد لا يؤدي إلى إخلال في المعنى بل على العكس من ذلك فله ما يبرّره من مقتضيات نحويّة وأغراض بلاغيّة جماليّة .
- من شروط التّقديم و التّأخير أنّ المقدم و المؤخّر يجب أن يكون أهلاً لذلك ، فليس كلّ من هبّ و دبّ يستطيع التّلاعب بالألفاظ والمعاني ، إلّا أن يكون فصيحاً بليغاً له من العلم والمعرفة ما لم يكن عند غيره (متّمكن) .
- ينتج عن التّقديم والتّأخير أسباب نحويّة وأغراض بلاغيّة ، فمن الأسباب النّحويّة :
- في الجملة الاسميّة : * تقديم الخبر على المبتدأ .
- أمّا في الجملة الفعليّة : * تقديم الفاعل على الفعل كما أجازوه الكوفيون * و تقديم المفعول به على الفاعل * وتقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا .
- الملاحظ من خلال دراسة المدونة الشعريّة " للشّابي " نحويّاً وبلاغيّاً تبين لنا أنّ مواضع التّقديم والتّأخير التي اقتضاها الشّاعر من خلال دراسة أسلوبه والوقوف على الدّلالات من وراء تقديمه وتأخيره للألفاظ في الجمل.
- لاحظنا بأنّ " الشّابي " من بين الشعراء الأكثر استخداماً لنسق التّقديم والتّأخير خاصة تقديم الفاعل على الفعل.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- 1) أحمد بن محمد علي المقرئ الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير القاهرة ط2 ، دت .
- 2) الرماني(أبي الحسن علي بن عيسى) وآخرون، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، دار المعارف، مصر ط3 ، (1976م) .
- 3) ابن رشيق القيرواني(أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، ج1، (2001م) .
- 4) الزمخشري (جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر)، أساس البلاغة ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا بيروت، د ط ، (2013م) .
- 5) ابن سنان الخفاجي (أمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي)، سر الفصاحة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، (1982م) .
- 6) السفير أنطوان الدحداح ، معجم لغة النحو العربي ، مكتبة لبنان ، ط1، (1993م) . السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، مكتبة الآداب ، د ط (1999م) .
- 7) السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، ج1، (1998م) .
- 8) سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ج1، (1988م) .
- 9) علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، دار المدار الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1، ج1، (2006م) .
- 10) علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة_البيان والمعاني والبديع_، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، (2007م) .

- 11) عبد الرحمان حسن حبّك الميداني، البلاغة العربية _أسسها وعلومها وفنونها_، دار القلم دمشق ، ط1، ج1، (1996م) .
- 12) أحمد مطلوب ، أساليب بلاغة_ الفصاحة البلاغة المعاني_ ، الناشر وكالة المطبوعات شارع فهد السالم ، الكويت ، ط1 ، (1980م) .
- 13) عبد العزيز عتيق، علم المعاني ، دارالآفاق العربية ، القاهرة ، د ط ، (2004م) .
- 14) عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية _علم المعاني_، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان، ط1،(2009م) .
- 15) عبد المتعالي الصّعيدي ، البلاغة العالية_علم المعاني_ ، مكتبة الآداب ، مصر ط2 (1991م) .
- 16) علي أبو المكارم ، الجملة السمية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 (2007م) .
- 17) علي أبو المكارم، الجملة الفعلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 (2007م) .
- 18) علي شلق، الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 (2006م) .
- 19) عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي ، الكافي في علوم البلاغة _ المعاني البيان البديع _ ، الجامعة المفتوحة ، الإسكندرية ، ط1،(1993م) .
- 20) عيسى علي العاكوب ، المفصل في علوم البلاغة العربية_المعاني البيان البديع_، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، حلب ، د ط ، (2000م) .
- 21) فاضل صالح السّامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر، عمّان الأردن ط2 (2007م) .

- (22) فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها_علم العاني_، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الأردن ، ط4 ، (1997م) .
- (23) إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2 (2004م).
- (24) ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة ، دار الجيل بيروت لبنان ، د ط ، مج1، د ت .
- (25) القزويني(جلال الدين محمد بن عبد الرحمان)، الايضاح في علوم البلاغة ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط الأخيرة ، بيروت لبنان ، (2000م) .
- (26) أبو القاسم الشّابي ، ديوان أغاني الحياة ، دار العودة ، د ط ، (1997م) .
- (27) أبي القاسم الشّابي ، ديوان أغاني الحياة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت- لبنان ، ط 4 (2005م) .
- (28) ابن منظور(جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري)، لسان العرب ، الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، (2003م) .
- (29) المبرّد(أبي العباس محمد بن يزيد) ، كتاب المقتضب ، المنشورات الإسلامية ، القاهرة ط3 ، ج1، (1994م) .
- (30) محمد ابراهيم عبادة ، الجملة العربية _مكوناتها أنواعها تحليلها_ ، مكتبة الآداب القاهرة ط2 ، د ت .
- (31) محمد أحمد قاسم محي الدين ، علوم البلاغة _البديع، البيان ، المعاني- ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس لبنان ، ط1، (2003م).
- (32) محمد أسعد النّادري ، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط2 (1997م) .

- (33) محمد بركات حمدي أبو علي، فصول البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، (1983م).
- (34) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجوى المصرية، القاهرة، ط3، (1966م).
- (35) محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، (1996م).
- (36) محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط جديدة، (1996م).
- (37) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط1 (2010م).
- (38) مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، (1926م).
- (39) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2 (1986م).
- (40) ابن هشام الأنصاري (أبي محمد عبد الله جمال الدين)، شرح قطر الندى وبل الصدى دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط4، (2004م).
- (41) أبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهيل)، كتاب الصناعتين، ت علي مجمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط1، (1952م).
- (42) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية_علم المعاني علم البيان علم البديع،
- (43) البسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، (2015م).
- (44) بوطران محمد الهادي وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية انطلاقاً من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت الجزائر، ط1، (2010م).

- 45) الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د ط ، مج1، (2008م) .
- 46) الجرجاني(أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي)، دلائل الإعجاز مكتبة الخانجي، القاهرة ، د ط ، د ت .
- 47) الخليل (أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، معجم العين، مؤسسة الهجرة ط2 ، ج6 ، (1210هـ) .
- 48) دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، ط1، (2007م).

شكر وعرهان 5

الإهداء 7

مقدمة أ-ج 10

مدخل تمهيدى

أولاً : التقاء البلاغة بالفصاحة 5

أ- البلاغة : 7

ب- الفصاحة 10

ثانيا: علم المعانى 17

أ- تعريفه: 17

ب- مباحث علم المعانى: 17

الفصل النظرى

المبحث الأول: مفهوم الجملة العربية 22

أ- لغة: 23

ب- اصطلاحا : 23

المبحث الثانى: تأليف الجملة وأقسامها 26

أ- تأليف الجملة: 26

ب- أقسامها: 27

المبحث الثالث: تعريف التقديم والتأخير 30

1- لغة : 30

2- اصطلاحا : 31

المبحث الرابع: أسباب التقديم والتأخير 33

أولاً: الأسباب النحوية 33

- 33 1-الجملة الاسمية :
- 36 2-الجملة الفعلية :
- 41 ثانياً : الأسباب والدواعي البلاغية :
- 42 1- التشويق :
- 42 2- التخصيص:
- 43 3- أن تقدمه هو الأصل ولا مقتضى العدول عنه :
- 43 4-إفادة التعميم:
- 44 5-تعجيل المسرة للتناول، أو المساءة للتطير:

الفصل التطبيقي

- 48 المبحث الأول: نبذة عن حياة أبي القاسم الشّابي.....
- 48 1-مولده ونشأته:
- 49 2-ديوانه:
- 49 2-وفاته:
- المبحث الثاني : التقديم والتأخير وأسبابه النحوية والبلاغية في (ديوان أغاني الحياة للشّابي - نماذج مختارة -)
- 50 1- قصيدة أيها الليل :
- 51 2- قصيدة شجون :
- 52 3- قصيدة " صلوات في هيكال الحب " :
- 53 4- قصيدة " صوت من السماء " :
- 53 5- قصيدة " ذكرى صباح " :
- 54 ثانيا : التقديم والتأخير في الجملة الفعلية :

54	1 - قصيدة أيتها الليل :
55	2- قصيدة شجون :
55	3- قصيدة " صلوات في هيكل الحب " :
57	4- قصيدة " أيتها الحالمة بين العواصف " :
58	5- قصيدة " صوت من السماء " :
59	6- قصيدة " ذكرى صباح " :
60	خاتمة.
63	قائمة المصادر والمراجع.